حرب الأفوكادو

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: حرب الأفوكادو

اسم المؤلف: سارة علّوه

التدقيق اللغوي: خلود أحمد

تصميم الغلاف: محمد دربالة

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ٢٣٩٠٨ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٣٧٢-٢-٩

مسار للنشر و التوزيع

Massar publishing & Distribution

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

01020439639

massar.pub1@gmail.com

حرب الأفوكادو

سارة علّوه

مسار
للنشر و التوزيع
Masar publishing & Distribution

إهداء

إلى سيدي وحبيب روحي، صديقي وفارسي وكل أحلامي، الى الذي لده قلبي وقد انشرخ الوتين من ألم الولادة، الى حبيبي الذي كبر ولم ينتظرني، ومات ولم يودّعني، الى حبيبي الذي حال الموت بيني وبينه وصار التاسع من أغسطس خريفا غطّى على كلّ الفصول..

سيدي محمود درويش الذي لم تشأ الأقدار أن تجمعنا، وشاءت روحي أن تحبه.. إليك أكتب ومن أجلك أكتب وإلى أن ألقاك سأكتب..

بلاد الملح

إنّي لأعجب من قدرة الانسان الهائلة على التعلق بالمعتقدات، فهذا السيد إسحق مثلا كان قد أفنى عشرين عاما من حياته وحيدا في غابة السنّار، وكان على استعدادٍ كامل لأن يفني ما تبقّى من عمره في سبيل إنقاذ فرخ حمام نيكوبار وعصافير الكاجو المهددة بالانقراض، كان يؤمن أنّ التقاليد القديمة والطقوس ودساتير الدنيا بأكملها ملطّخةٌ بآلاف البقع من الدماء، كان يؤمن أنّ الصيد ما هو الا مهارة القتل المباحة، وأنّ الحرب ما هي الا مهارة الصيد الممنوعة، كان يقول دائما أنّ الانسان أشرس النطف على هذه الأرض، لولا أن القوة هي التي تحكم في النهاية، وأن الاحترام مقترن بشكل أساسي بالقوة .

"_كان عليك أن تفني نفسك في محاولة إنقاذ حمامة نيكوبار تلك، لكنك آثرت الهرب من الصيادين ورأيت عنقها مذبوحةً أمامك"

-إيييه سال دم كثير، ويسيل.

"لم نكن نعلم أنّ الحرب قادمة، ولو علمنا لخبأنا أطفالنا وأنفسنا

داخل الأشجار، لكن .. كان الدم أسرع من خطتنا "

لم تعلم فانتيلا عن أي حرب كان يتحدث، ولم تشأ أن تترك المقال من يدها لحظة لو لا أنّ أمها صرخت بتهديد :

-فانتيلا إن لم تأتِ حالا ستندمين...

- ماذا هناك يا أمي؟!

-تعالي لتغسلي المواعين يا فتاة، ودعكِ من الكتابة والقراءة التي ستعميك يوما ما، فلتبحثي عن شخص يحبك وتحبينه، لن تنجب لك الكتب أطفالا أيتها البلهاء..

-أمي أنتِ تعلمين جوابي لن أتزوج أحدا بعد أنطوانيت

-لكنه رحل يا فانتيلا، رحل ولن يعود

-لا يهم، إن لم يأتِ سأتزوج مكتبتي لا محالة

تضحك بعمق فيما تحملق أمها فيها بعيونها الجاحظة الحمراء ..

"كنتِ الخطيئة حينما أنجبتك، وها أنا أُعاقب على فعلتي"..

لا زال المقال يدور في رأس فانتيلا ويأكل عقلها رويدا رويدا، كانت قد سمعت عن جزيرة السنّار من قبل،لكن أيعقل أن يسكنها أحد ما حقا!!! إن كان جميع أهل البلاد يعلمون مصير كل من

دخلها، ويعلمون أنّها ملعونة لا محالة، فما الذي يدفع شخصا في مثل هذا العمر ليقرر الانعزال فيها!!

ارتدت فانتيلا سترتها وذهبت إلى الباب، لتجد أمها بانتظارها

-إلى أين؟؟

-إلى جزيرة السنار

-ماذاا؟؟؟

-أمزح يا أمي

تنحني وهي تغلق سحّاب جزمتها بينما تضحك وتقول : سأزور صديقتي نيكول ليس إلّا ...

-احملي مظلّتك أفضل من أن تبتلي بالأمطار الهوجاء هذه

-السيدة العجوز بدأت تخاف على ابنتها ؟؟

-لا إنما لا أريدك أن توسخي الأرضية وأنتِ عائدة من الخارج، ستقطرين مطرا يغرق الدار

انصرفت فانتيلا وهي تفكر إن كانت ستجد جوابا لدى نيكول، أم أنّ مشوارها سيذهب سدى.

طرقت الباب برفق، وضعت يدها على الباب وهي تصرخ

-نيكول افتحي الباب أيتها الكسولة

-لماذا تطرقين الباب بكل هذه النعومة، هل أصبحت فتاة هذا الصباح؟

ضحكت فانتيلا وهي داخلة للمنزل، جلست على الأريكة وبدأت الكلام وكأنّها وجدت فرصتها الثّمينة، تحدثت لنصف ساعةٍ أو يزيد، لمْ تكفّ عن الثرثرة عن كلّ الأشياء، عن غضبها من أمها، عن شعورها بالخزي مما فعلته بأنطوانيت، عن شعورها بالضياع ورغبتِها بالمغادرة، ثم صرخت فجأة وهي تضرب فخذ نيكول بقوة :

-كيف نسيت ما أغباني !! لقد أتيت اليك في أمر هام يا نيكول، هل سبق وأن قرأت عن جزيرة السنّار؟

-أجل بالتأكيد، وهل عندي ما أفعله غير القراءة ! لكن ما الذي أتى على بالك لتسألي

-لقد قرأت مقالا في الجريدة يحكي عن رجلٍ يدعى إسحق يعيش على هذه الجزيرة

-حقّا؟؟؟ مستحيل!

--أعلم، لكنّ ما نعرفه عنها محض أساطير لا أساس لها من

الصحة، ماذا لو كانت الجزيرة جزيرةً عادية والنّاس يهوّلون !

-من الممكن يا فانتيلا لكن وكما تعلمين ليس ثمّة دخانٌ بلا نار، أهل بلادنا يعشقون صنع الشائعات وتصديقها، لكن هناك خطبٌ في هذه الجزيرة لا محالة، إذ من غير الممكن أن تكون كل تلك الأحداث كاذبة، ومن غير المعقول أن يكذب التّاريخ في أكثر من عشر رواياتٍ مختلفة ..

-أخبريني أكثر عنها

-يقال أنّ من يدخلها لا يخرج منها بسهولة إذا نام أكثر من ثلاثِ ليالٍ، ويقال أيضًا أنّ أقدامًا غير أقدامنا وطأتها، وأنّ أكبر سلسلةٍ جبليةٍ عرفها البشر تقع على أرضها، أتعلمين يا فانتيلا أنّ البشر حتّى الآن لم يتمكنّوا من اكتشاف ما يقبع وراء هذه الجبال، ثمّة عالمٌ كاملٌ مخفيٌّ عن عيوننا، لكِ أن تتخيلي الأمر .

أراحت فانتيلا رأسها على الأريكة وراحت تفكر، ربَّما هناك العديد من الديناصورات مثلاً، أو هناك مدن يقطنها أشخاصٌ ليسوا بشرًا أو وحوشًا، هل يعقل!

-كلُّ شيءٍ جائزٌ يا فانتيلا، أنا مثلا لم أصدق يومًا بوجود الكائنات المخفيّة عنّا إلى أن رأيتها

-ماذا تتوقّعين أن يوجد خلفها؟

-ربّما هناك الزواحف مثلاً أو سلاحفٌ عملاقة، أو ربّما تسكنها الحوريّات والرّجال الطائرون، أو محضَ أرضٍ هادئةٍ ليس فيها نَفَس حياة، ما أدراني أنا ..

ظلّت كلمة نيكول تلعب في رأس فانتيلا " هناك عالمٌ كاملٌ مخفيٌّ عن عيوننا.."

"واحدٌ وعشرون عامًا قضيتُها وحيدًا على هذه الأرض الغريبة، ليس ثمّة ما يبيح الدمّ بالنّسبة لي، دم هذه العصافير مساو تمامًا لدم البشر، متى سيتعلّم ذوي العقول المتحجّرة أنَّ هذه الكائنات الصغيرة تتألّم مِثلنا"

عادت فانتيلا إلى بيتها مبتلّةً بالأمطار، يبدو أن هذه الثلاثينيّة لن تتعلم أبدا كيف تكبر، ستظلّ تركض بلهفة كلّما نزل المطر .

أغلقت باب غرفتها وشغّلت الرّاديو بصوتٍ مرتفع لِتُسكِتَ صراخ أمِّها المجنون ؛ والشتائم التي نزلت على رأسها أكثرَ مما سقط المطر على الأرض وبدأت تفكر

"يبدو أن أمّي عدّت حبّات المطر وشتمتني عن كل قطرةٍ عشر شتائم، لن تفهم هذه العجوز ما الذي يعنيه المطر، عليّ المخاطرة هذه المرة لا محالة، أنا أعلم المقدار الذي سيجنيه الكتاب من شهرةٍ وأرباح، هذه القصّة الغريبة لرجل يفني عمره في جزيرةٍ تحوم حولها الأساطير المخيفة، غدًا سأتّصل بآدم لأناقشه في الموضوع "

عندما حلّ الصباح، كانت قد نسيت خطتها في الاتصال بآدم، كان الحقُّ مع أمّها هذه المرّة بأنّهافتاة تعاني خطبًا ما في ذاكرتها، لكنّ الحظّ أسعفها إذ سبقها آدم باتّصاله

-صباح الخير

-صباح الخيرات يا آدم

-ألا تريدين الاستمتاع بأشهى طبقٍ على الفطور؟!

-بالتأكيد، سأرتدي ملابسي وآتي

-لا تنسي أن ترشّي العِطر حتَّى تلتقي بي كيلا يُقال آدم الذي ذوّب نساء الأرض يتمشّى مع ثلاثينيّةٍعفِنَة

-أووه ارحمني أرجوك من أين تأتي بكلِّ هذه الثقة !! وأقفلت الخطّ بوجهه

كان آدم البالغ من العمر تسعة وثلاثين عاماً شخصًا خجولًا مع الجميع، تبغضه النّساء، لكنّ أحدًا لم يعرف سرّ وحدته الغريبة، إذ لم يسبق له أن تحدّث عن أهله مثلاً، ولعلَّ الميّزة الوحيدة فيه حبّه العجيب للطّعام

ارتدت فانتيلا ملابسها واستقلّت سيّارة أجرة لتنزل إلى مقرّ جريدة الصّباح، دخلت المبنى متجاهلة كلام زملائها وراحت تسأل عن أمرٍ واحدٍ فقط

"أين السيّد يعقوب الذي كتب مقالا عن جزيرة السنّار" ؟؟؟ لكنّ أحداً لم يساعدها فدخلت غرفة المدير غاضبة

-أريد مقابلة السيّد يعقوب حالاً

-من؟

-ذاك الذي كتب عن جزيرة السنّار

تلعثم المدير قبل أن يخلع نظّارته ويقول:

-أهلاً فانتيلا.. إنّ الشّاب في إجازة مرضية اليوم، سأتّصل بك حالما يعود

-أريد مقابلته حالاً، أعطني عنوان بيته

-لماذا؟

-أريد أن أسأله بضعة أمورٍ عما كتبه لتساعدني في كتابي القادم، ثم ابتسمت بخباثةٍ وأردفت، بالتّأكيد لن أنسى شكر الجريدة في كتابي والمدير المتفاني باسمه الرّباعي

ضحك المدير وقد بان سنّه الذّهبي وقال:

-حسناً، غدًا سيكون الرّقم والعنوان على مكتبك صباحًا

خرجت فانتيلا من مكتب المدير وأخذت تنظر للمكان وكأنّها تودّع كلّ الأشياء فيه، هذه الأرضية السوداء، وهذه المكاتب المفتوحة على بعضها، والبدلات السوداء، يبدو النّاس في هذا المقرّ بكامل أناقتهم.

وبدأت تفكّر؛ ماذا لو كان بينهم قاتلٌ مأجورٌ مثلاً، أو ماذا لو

كان هذا الشّاب المسؤول عن التنظيف جاسوساً روسيًّا متخفّياً!

ابتسمت برفقٍ ثمّأكملت طريقها إلى الخارج : إحدى الميّزات الغريبة التي تعطيها الملابس لك :أن ليس عليك إلّا ارتداء بذلةٍ سوداء وربطة عنقٍ أنيقةٍ لتنال احترام الجميع ..

وعندما وصلت البيت كان الباب مفتوحًا

-هل كان عليك أن تقفلي هاتفك ؟ ثم إلى أين ذهبتِ، هل نسيت موعدنا ؟؟!

-يا الهي أعتذر حقّا يا آدم .. كنت في مقرّ جريدة الصّباح

-لا مشكلة، تناولت الفطور مع أمّك.

تركته فانتيلا ودخلت غرفتها وهي تفكّر في عنوان الشّاب، وبدأت تحيك خطّتها

-بماذا تفكّرين؟

قاطعها آدم الذي دخل غرفتها دون أن يطرق الباب ؛ فصرخت في وجهه:

-كم مرّة عليّ أن أذكّركَ بطرق الباب ؟!

-أعتذر منك .. حكّ رأسه ببلاهةٍ وجلس على سريرها

التمعت عيناها وهي تنظر لآدم الأبله، ثم أغلقت الباب واقتربت منه رويداً رويداً، ازدرد ريقه وفتح زر قميصه الأوّل وارتسمت على شفتيه ابتسامة الذئب الجائع

اقتربت فانتيلا من أذنه ثم تمتمت بصوتٍ منخفض

-أريد الذّهاب إلى جزيرة السنّار

سحب آدم نفسًا عميقًا ثمّ أخرجه قبل أن يقول

-أجننت ؟

وضعت يدها على فمه لمحاولة إسكاته وقالت :

-إن سمِعتْك أمّي ستقتلني، أرجوك اخفض صوتك

أبعد يدها ونظر للأسفل قائلاً:

-ماذا تقولين؟

جلست فانتيلا بجواره دون أن تنبس ببنت كلمة

أردف :

-يبدو أنّك قرأت مقال يعقوب

أومأت برأسها فأكمل

-جدّيًّا متى زارتك هذه الفكرة؟

-منذ أن قرأت المقال

-هههههه لكّنك تعلمين مدى الأخطار، قولي لي نعم أرجوكِ

-أجل ..

-أنصتي يا فانتيلا

"بدا آدم هذه المرّة جديًّا وكأنّه سيلقي خطاباً في الأمّم المتّحدة، نظرت فانتيلا إلى عين هذا الرّجل الذي لطالما اعتبرته طفلاً أو مراهقاً مزعج، لكنّها هذه المرّة استمعت له بجديّةٍ ولأوّل مرّة ؛ إذ بدى صوته مختلفًا وقد عدّل وضعيّة جلوسه وضمّ يديه إلى صدره

-أنا فكّرت في الأمر قبلكِ، لكنّي تراجعت كلّما قرأتُ حرفًا عن الموضوع، أنتِ تعلمين الأخطار، ومدى الشّائعات، لكنّ سبقاً صحفيًّا كهذا يمكن أن يقلب الدّنيا رأساً على عقب، إنَّ يعقوب الذي لم يفعل شيئاً سوى أنّه كتب مقالاً واحداً جمع فيه كلّ ما قرأه في ورقةٍ واحدةٍ جعله يترقّى لمساعد مدير، فما بالك بالذي يذهب إلى هناك وينال شرف محاورة اسحق وجهاً لوجه، ويفضح للعالم سرَّ الأساطير وحقيقتها ..

حملقت فانتيلا عيناها وأنزلت رأسها في محاولةٍ لاستجداء

الحقيقة من فمه، وجلّ ما نبست به كان:

-هل أنت بوعيك

-أجل، انصتي، إن أردنا أن نذهب علينا أن نجد أكثر من شخصّ معنا، وأنا أعرف شخصًا قد يساعدنا في الوصول إلى هناك لكنّه يأخذ قرابة المائتي قطعةنقديّة، أنا معي خمسون قطعة لا أكثر.

نظرت فانتيلا في غرفتها ثم لمعت فكرة في رأسها وركضت للخزانة، فتحت الدولاب السفلي وسحبت منه صندوقاً خشبيًّا ثقيلاً ووضعته على الطّاولة

-هنا يا آدم، إنَّ مجوهراتي التي أهداني إياها انطوانيت تغفو في هذا الصندوق ؛ وإنّها تقدَّر بثلاثمئة قطعة، خذها وبعها وافعل ما تراه مناسباً .

شَعَرَتْ أنّ حملاً ثقيلاً أزيح عن صدرها إذ كانت تنوي إقناعه بأخذه معها، لكّن آدم لطالما حلم بالتّرقي كذلك، قال لها بعد عدّة دقائق من الصّمت :

-سأشتري بما بقي معلباتٍ وبعض الطّعام والحاجيّات

-رويدك رويدك نحن لا ننوي المكوث لأكثر من يومين يا آدم

-هذا ما ننويه نحن لكن ما أدراك بما يخبئه القدر لنا ؟..

فكّرت فانتيلا قبل أن تضرب فخذ آدم وتقول :

-أنت لست قليلاً يا ولد

ثم أضافت :

-لكنّ أحداً في الدّنيا لا يجب أن يدرك ما نحن مقدمون عليه، إن علمت الشّرطة بأمرنا لن يكفينا عشرين عاماً وراء القضبان، ثم صرخت غير مدركة، صحيح تذكّرتُ ؛ من الذي سيساعدنا وكيف سنصل إليها؟؟!!!

ابتسم آدم وقال لها

-صه اخفضي صوتكِ، ودعي أمر الذّهاب لي وفكّري بالأشخاص الذين سنأخذهم معنا ليس إلّا، لكي تخفّ الأجرة علينا، لن نحتمل تكاليف خمسة ركّابٍ لوحدنا

-هل حقًا ثمّة أكبر سلسلةٍ جبليّةٍ عرفها البشر هناك ولا يعلم ما وراءها؟؟!!

-الله وحده يعلم ما تخبئه لنا الرّحلة من مفاجآت ...

"أنطوانيت"

أعتذر لك عن خذلاني، أعتذر عن قباحتي تجاهك، حاولتُ مليًّا ألّا أفعلها، لكنّ هذا الأمر لا يفوّت، عزيزي أنطوانيت، لقد وجدت في مخطوطتك طريقًا سهلاً للوصول، الحياة فرص، وأنا بدّلت فرصة بفرصة، لا أعلم أين رحلت، ومتى ستعود، لكّني أتمنّى أن تعود قبل صباح الأحد، لأنّي سأكون قد رحلّت يا عزيزي لما وراء الغيم أو ربّما لهناك بضعة أيام من يدري! أنا ذاهبةٌ لجزيرة السنّار فإن عدت ولم تجدني فانتظرني، وإن لم تعد فسأنتظرك للأبد

صديقتك الماضية : فانتيلا"

وضعت نيكول يدها على رأسها ومزّقت الرّسالة ورمتها في الموقدة أمامها، الآن وقد وضعت فانتيلا سرّها بين يدي صديقتها كان لابد وأن تمحي الأثر ...

البداية ..

حرب الأفوكادو

الفصل الأول

" الزُّرقَةَ الغادرةَ" ...

هل يختلط الماء بالنّار، وهل ثمّة معنىً لكلِّ هذا، هل ثمّة خلاص ؟!، أم أنَّ الأمر أكبر من أن نحاول ...

رنّت كلمة آدم في أُذُنَي دانييل وبدأ يفكّر في ماهيّة الحياة، وفيما إذا كان هناك أمل للنجاة، نظر إلى لوحاته المرمية في كل أرجاء الغرفة، نظر إلى صورته في المرآة، طالت لحيته أكثر من اللازم، وجد في الأمر فرصةً جيّدةً للرحيل، كان لابدّ من المجازفة ليمنع نفسه من البقاء ..

حمل عُلبة تبغه وارتدى سترته وطاقيّته وخرج من البيت، كانت السّاعة قد انتصفت الليل، بدأ يتمشّى في أزقّة سلوفيينا القديمة، أشعل سيجارة وجلس على درج بين زقاقين يعلوه قوس، وأخد يجيل نظره في هذه المدينة الضّبابيةً التي تبدو كمدينة الأشباح ليلاً، تساءل عن هرب النّاس من الظّلام، هل كان خوفاً أم محض هروبٍ من الواقع بالنوم ! .

لمعت عيناه على الضّوء الأصفر الذي بدا واضحًا في عتمة اللّيل وعلى القمر الذي اخفت نصفه الغيوم، أخد ينفث التّبغ بشراهة، يبدو أن أعواما من التّعب سالت على خديّه وراح يهذي باسم

كاميليا، حبيبته التي ماتت ظلماً حسبما رأى، لازال يتذكّر تفاصل ذلك اليوم البشعة، لازال باستطاعته شمّ رائحة أنفاس كاميليا وهي تحتضر ولا زال يسمع صوت نحيبها بجواره، استند على السور ثم تنهّد، وكأنّ جبالا من المرّ خنقته دون رحمة، راح يفكّر في لوحاته المرميّة، لم يكن لدانييل أيّ مخرج من سراديب هذه الحياة المظلمة سوى الرّسم، كان يلوّن كلّ شيءٍ وأيَّ شيءٍ حسبما يرى، لكنّ لوحاته المليئة بالألوان والحياة لم تكن ترد عليه إلا مبلغًا بسيطًا لا يكفي لدفع إيجار غرفته، على الرّغم من أنّ سلوفيينا مدينة قديمة أكل الزمان عليها وطواها الغبار، وعلى الرّغم من أن إيجارات الغرف فيها رمزيّة، إلّا أنّ دانييل لم يكن يملك ثمن هذه الرمزيّة حتّى .. وكاميليا التي كسرت ظهره بموتها المفاجئ ساعدته على الموافقة على مرافقة آدم الى هذه الجزيرة، قرر الانتحار في تلك الجزيرة كيلا تعرف أمه خبر انتحاره، يكتبَ لها رسالة طويلة مفادها أنه وأخيرا أنصت لكلامها وقرر المغادرة لجزر القمر في بعثة للعمل ستأخذ منه عشر أعوام، حتى لا تبحث عنه ولا يأكل الألم قلبها وتموت .

كان قرارًا سليماً لا محالة، حسبها دانييل من كل الجهات، فلو عاد الرفاق من هذه الرحلة لن يجرؤ أحدٌ على كشف سرّه أو الإبلاغ

عن انتحاره، لأنَّ الذهاب غير شرعي ولأنَّ القانون يقضي بعشرين عاما من العقوبة على دخول أرض هذه الجزيرة، ليس ثمّة شخص عاقل سيضحي بعشرين عام من حياته خلف القضبان لمثل هذا الأمر بالتأكيد ..

***

الثاني عشر من أكتوبر سنة ٢٠١٩

"يقال أن الأحلام تبدأ في ديسمبر، فهل بدأ حلميفي اكتوبر بالفعل "!

وضعت فانتيلا يدها على خدها وهي تحلم بالشهرة والأرباح التي سيجنيها الكتاب قبل أن تطير الأوراق من على المكتب وتجفلها، تنبّهت إلى النّافذة، نهضت لتغلقها، لكنّ ابن ربّ المطر النّائم بداخلها منعها، وأخذت تستنشق هذا الهواء، هواء أكتوبر المليء بالبرودة والحنين، جلست تستمع لصوت تلاطمه مع التّراب، كان صوت نشيج المزاريب المعلّقة بجوانب المنزل عاليًا، كأنّ الأرض تبكي !، كأنّ الدنيا بأكملها تبكي، سالت الدّموع على خديّ فانتيلا دون أن تدرك أكانت دموعًا أم أنه المطر!، وراحتتتساءل عن أنطوانيت، إن كان حيًّا أم ميّتاً، إن كان غادر بلاد

الملح أصلا، وهل يذكرها أم أنّه نسي هذا الوجه العاديَّ الملامح للأبد ..

فانتيلا أنريكيه كامور

فتاةٌ ثلاثينيَّة مُتوسّطة الطّول، بيضاء اللون تكتسيها الحمرة عند الخجل، ذات قوام نحيل، وشعر أسود قصير نمت فيه خصلة بيضاء على غير عادةٍ أو ترتيب، طًالما قيل لها أنَّ هذه الخصلة هي ما يميّزها عن دونها، كانت الخصلة تكاد تصبح الرّاعي الرّسمي لشكلها لولا أنّ آدم دائما ما كان يقول لها " ماذا هل بدأ الشّيب يأكلك"، عيناها متوسطتا الحجم سوداوتان وفمها صغيرٌ ممتلىء، أنفها حادٌّ صغير، لكنّ العيب كان دوماً في قدميها، كان عليها أن تجوب السّوق بأكمله لتبتاع حذاءًا نسائيًّا على مقاسها، إذ كان مقاسهما أصغر من اللازم، لكنّها لم تعرف السّر أبدًا، ربّما ورِثَتهم عن أمّها، لطالما تساءلت عن السبب الذي يجعل الأشياء على هيئتها .

كاتبة مستجدّة من بلاد الملح، تعمل في جريدة الصّباح وتكره مديرها في العمل كباقي العمّال على الكرة الأرضية ...

-أيتها الخرقاء لقد ملأت الأمطار غرفتك يا إلهي أيّ خطيئةٍ

فعلت لأنجبكِ.

استيقظت فانتيلا على صوت أمّها الغاضب، يبدو أنّ هذه المرأة المكتنزة اللّحم لن تروق يومًا أعصابها ولن يهدأ لها بال .

قامت من سريرها، أشعلت الموقد وجلست الى جواره وهي تفكّر فيما إذا كانت قد وضعت كلّ ما تحتاجه في الحقيبة البنيّة، كانت قد بقيت ثلاثة أيامٍ على الرّحلة، لتفاجأ بطرق الباب

-تفضّل

-صباح الخير فانتيلا

-أهلاًأهلاً كريستين تفضّلي أعتذر عن الفوضى لكنّي استيقظت قبل قليل

-لا عليك أتيتُ لأطمئن عليكِ ليس إلّا، ثمّ متى قررت الانفصال عنّي؟

-ماذا تقصدين

-سمعتُ من العصفور أنّكِ اخذتِإجازةٍ مرضيّةً مفتوحة

-أجل أردت الرّاحة ليس إلا ونسيت إخبارك

-انزلي وجهّزي لنا كوبين من القهوة ريثما أجفِّفُ ملابسي أمام

الموقد، وسأكمل عتابي عندما تعودين

خرجت فانتيلا من الغرفة وأغلقت كريستين الباب بالمفتاح لتغيّر ملابسها

صرخت من الداخل

-هي أنتِ، أين هي ملابسك النّظيفة

وسمعت جواباً من خلف الباب

-وهل تعتقدين أنّها تكلّف نفسها بالغسيل، إنّها في الدّولاب طويتها هذا الصّباح، ارتدي الملابس ريثما أحضر لكن الفطور

-حسناً

جلست كريستين على المكتب وهي ترتدي الجوارب البنفسجية المتدلّية مسندة يدها على المكتب، استاءت من بعثرة الأوراق فأخذت ترتّبها وفق الأهميّة، بدأت تقرأ مقدّمة كلّ صفحة، لفت انتباهها ورقة مليئة بالخرابيش والألوان، دفعها فضولها لتحاول فهم ما كتب فأخدت تقرأ

"الهدف هذا الشهر الذهاب صبيحة الأحد إلى جزيرة السنّار، ثمّ العودة للبدء بكتابة كتابي الثّاني عن السّيد إسحق، ثمّ ...

طوت كريستين الصفحة ثم نزلت مسرعةً إلى المطبخ، كان قد احتدّ الجدال بين فانتيلا وأمها، سحبت فانتيلا من يدها وأخدتها للفناء

-لماذا لم تخبريني؟

-بماذا ؟؟

-برحلتك، حقًا أنا بدأت أشك في كوني صديقتك المقربة

-أيّ رحلة تقصدين؟؟؟

-رحلتك إلى جزيرة السّنار

-ششششش ما بكِ أخفضي صوتك وتعالي معي إلى الغرفة

دخلتا إلى الغرفة، وقفت كريستين منتصف الغرفة وقد جمعت يديها إلى صدرها محتدّةً ثمّ قالت بكلّ غضب:

-لا أريد أن أعاتبك، لا أريد أيّ تبرير، ماذا دهاك أصلًا؟!!

-أنصتي ثم احكمي .. إنّ الرّحلة مليئة بالأخطار، ثم إن علمت الشّرطة بالأمر أنت تعلمين ماذا سأجني، هذا إن لم تكن أمي قد قتلتني أصلا

-لم أفهم حتّى الآن لِمَ أخفيتِ الأمر عني؟؟

- يا كريستين أنا لست ذاهبةً للسياحة، أنا ذاهبة للعمل ليس إلّا

-تقصدين أنّ المدير من كلّفك بهذا الأمر؟

-على الإطلاق، أقصد أنّي ذاهبةٌ لآخذ من إسحق بضع معلوماتٍ عن حياته وعن الجزيرة لتساعدني في الكتاب، لهذا لم أخبرك

جلست فانتيلا على سريرها ونظرت إلى كريستين تستجديها بشفقةٍ قائلة

-أرجوك لا تخبري أحداً أرجوك أرجوك

-لا تقلقي، لكن أتعلمين من شدّةِ ما قرأت عن هذه الجزيرة أتمنّى أن أذهب معكِ للاكتشاف

-عندما أعود سأخبرك بكلّ ما رأيت أو سمعت

-أريد أن آتي معكِ

اقتضب وجه فانتيلا

-ماذا؟؟؟؟؟

-أريد الذّهاب معكَ لقد سمعتيني

-لكن يا

-قبل أن تقاطعيني، كم يوماً ستمكثين وهل الرّحلة آمنة

-لا أعلم كم يوما سأمكث لأني لا أعرف كم سيأخذ الطريق معنا من وقتٍ لكنّي لن أجلس في الجزيرة أكثر من يومين

-ممتاز سأكون جاهزة صبيحة الأحد

-حسناً حسناً نكمل نقاشنا فيما بعد تعالي لتناول الفطور مع أمّي قبل أن تقتلنا

-هل أعدّت الخبز بالزبدة؟

خرجتا من الغرفة فأردفت فانتيلا وهما في الممر

-إنّ أمي لا تفوّت فرصة لإعداده

- بطلة العالم في الخبز بالزبدة

***

كان صباحاً مليئاً بالنّدى مبشّرًا بالهدوء، لكن أيعقل أن يكون هذا هدوء ما قبل العاصفة !

تسحبّت فانتيلا من البيت مع انبلاج أوّل خيط من خيوط الفجر، مشت على أطراف أصابعها وهي تجرّ الحقيبة البنيّة وراءها بحذر شديد، حملت حقيبتها بصعوبةٍ وأنزلتها الدرج كمن يخفي مصيبةً

ما، رمت رسالة لأمّها وأغلقت الباب خلفها بهدوء، توقّفت عند الدرجة الأخيرة خارج الباب، نظرت إلى هذه الحديقة التي بدأت تبان شيئاً فشيئاً، كلّ هذا الأقحوان البنفسجيّ الذي لم تنتبه يوماً له قبل هذا الصّباح، لطمتها نسمة هواءٍ باردة على خدّها فشعرت أنها تنتشي، جرّت حقيبتها وراءها وخرجت من باب السّور وأغلقته بهدوء، اطمأنّت لمّا رأت آدم ينتظرها بسيّارته الحمراء الصغيرة آخر الشارع، التفتت إلى الحديقة مرّةً أخرى، شعرت أنها تودع المكان، شعرت أن عليها أن تحفظ كلّ هذه الأشكال لتعيدها في الذّاكرة إن احتاجت، ثم أسرعت إلى آدم الذي خرج وحمل حقيبتها ووضعها في صندوق السيارة ثم عاد وركب فيها

-ماذا هل عدتِ للتدخين؟

-لم أتركه يومًا.

-صباح الخير، هل أنت مستعدة للمجهول

-أتم استعداد

شغّل آدم السّيارة وانطلق، تلفتت إليه فانتيلا مسرعةً كمن تذكّر شيئاً ما

-آدم توقّفتوقّف يا الهي

-ما بكِ ؟ ماذا هناك؟؟

ضرب بريك بسرعة واستدار محيدًا عن قطةٍ كاد يدهسها، ثم اصطفّ ونظر لفانتيلا وقد بدا الرعب على وجهه الذي لامسته خيوط الشمس الأولية

-يا إلهي نسيت أمر كريستين !!! ستفضحناا

-ماذا ؟؟؟ لم تخبريني أنها قادمة

-آسفة نسيت إخبارك، لقد قرأت الورقة وأخب.. أوووه لا عليك الآن سنتأخر اذهب لها الآن

أخد نفسًا وكأنّه ارتاح من خوفه قليلاً ثم أعاد وجهه نحو الطّريق وأكمل في نفس المسار

-آدمممكريستيين ماذا دهاك

-سنقلّ دانييل أولاً

-ماذا ؟؟؟؟ هل أخبرت دانييل

-أجل أنت تعلمين أنّ دانييل يشعر بالوحدة، وهو أخي الأصغر، ثم لا ضير من أخذه معنا

-ومتى كنت ستخبرني؟

-هوّني عليك ليس أمراً كبيراً لنتشاجر عليه

-هوّني ننننننهننه.

أدارت وجهها عنه واقتضبت حاجبيها كمن أعلن الحرب لتوّه.

إحدى الصفات الغريبة لغضب النّساء تلك، ربّما لم تفكّر فانتيلا في أنّ من حق آدم الشرعي الغضب على إخبارها كريستين دون الرّجوع إليه، ولو طرحت عليها الأمر لَنفت هذا الحق، لكن بالمقابل فإن من حقّها هي الغضب إذا انعكس الأمر، لعلّ الغضب أحد أهمّ أسباب التنفيس عند النساء في هذه الحياة.

وصلا الميناء، كانت الضجة تملأ المكان عكس المدينة الهادئة أحيائها، نظرت فانتيلا إلى شباك الصيادين، إلى وجوههم المليئة بالعرق وعيونهم الحمراء، إلى بلاطينهم المثنية للركبة، وإلى أياديهم البيضاء من أثر الملح، استنشقت هذه الرّائحة الغريبة، مزيج من رائحة السّمك والغضب المختلطة بالملح والعرق والتّعب، هذا الاسمرار الذي يطغى على كل الوجوه، هذه الأسماك التي تقاوم الشباك في سبيل العيش مرّة أخرى، وفكّرت في الفرق بين الأسماك والبشر، إن كان البحر الذي يحيي السمك هو نفسه البحر الذي يغرق البشر، فمن أين استمدت كلمة الغرق إذاً! لماذا لا يغرق السمك في الماء ؟ ماذا لو كان الغرق أحد الكلمات التي تعني الألم، السقوط فيما ليس لك، في مكان لا يلائمك ولا يرضيك!!.

نظرت إلى وجه دانييل وشعرت أن هذا الرجل يغرق كلّ يوم دون كاميليا، فماذا لو كانت الحياة بالنسبة له هي الغرق والموت هوَ النجاة!!

ثمة سحر في هذا المكان وفي هذه الرّائحة التي تعطي القريحة لغة وانسيابية لا تنتهي، أيقظها صوت آدم من خيالها الذي لا يهدأ

-سيمون ؟؟؟ ماذا تفعل هنا؟؟؟

-أهلاً آدم، الرّفاق كلهم مجتمعون ههههه

بدا وجه سيمون الفرح مثيرًا لغضب الجميع، توجّهت الأنظار إلى كريستين التي نظرت للأرض فينة ثم أسرعت وأمسكت يد سيمون ومشيا أمامهم

-أرأيتِ يا فانتيلا أرأيت ؟؟؟؟

-ما دخلي يا آدم لم تخبرني الخرقاء سأقطعها إربا

سارت بعصبيّة قبل أن يمسكها دانييل من يدها قائلاً :

-لو كانت كاميليا هنا لاغتنمت الفرصة لإخبارها وأخذها معي ولو قطعتم رأسي، لا يلام العاشق في فعله ..

ابتسم آدم، لكن فانتيلا لم تبتسم بل شعرت ولأوّل مرة أنّ الماثل أمامها وجع على شكل إنسان، لمعت دمعةٌ في عيّنه فأنزل وجهه في وشاحه الأسود وسبقهما بضع خطوات، لم تتوقف فانتيلا عن التفكير بل تعمقت في خيالها أكثر وهي تفكّر بدانييل وما قاله، هذا الصّوت المتحشرج الذي تحدث به، يا إلهي كم تخفي الملابس والوجوه من انكساراتٍ وضعف، شعرت ولأوّل مرّة أنّ هؤلاء الصيّادين المتناثرين حولَ الطّريق ليسوا مجرّد عمّال جلّ ما يشغلهم

الشِباك والسّمك، ثمّة وجعٌ مخفيٌّ لكلّ الوجوه، ثمّة وجعٌ لا يُرى وثمّة انكسارٌ لا يُحس ..

أيقظها هذه المرّة من شرودها يد آدم الذي أشار إلى سفينةٍ كبيرةٍ نصفها العلويّ أبيض ونصفها السفليّ أسود، اقترب من أذنها وهمس :

-سنغادر على هذه السّفينة ثمّ وبعد أسبوع سيُنْزِل لنا جايكوب القارب ليلاً ويركب معنا هو ومجموعةٍ من الأشخاص الذّاهبين باتّجاه البحر الكاريبي لجزر الأنتيل، سينزلنا ويكمل طريقه معهم ثم يعود ليصطحبنا

فتحت عيونها في حماس وقبل أن تسأل كان آدم قد أشار مرّةً أخرى إلى رجلٍ أسودٍ ذو شعرٍ طويلٍ مجدّل ومربوطٌ خلف رأسه، ذا ملابس باليةٍ وهيئةٍ لا تبشّر بالخير

-جايكوب هذا هو

أومأت فانتيلا رأسها ثم تقدّمت صاعدةً الدرج الخشبيّ باتّجاه السّفينة، سمعت صوتاً غليظاً يصرخ من جانبها:

-لقد دستي الشبكة يا آنسة ألم تنتبهي لها؟؟!

التفّت فانتيلا وأنزلت رأسها، شعرت بالحرج الشديد فأنقذها

دانييل الذي سحبها للوراء، لم تكن قد شعرت بالشبكة إثر جزمتها الطويلة التي ترتديها لكنها لا محالة شعرت بغضب الرّجل واحمرار عينيه، صعدوا ظهر السّفينة، صدمت بهذا العدد الكبير من الأشخاص، كانت كمن دخلت سوقاً شعبياً يضجّ بالفقراء والأغنياء، شعرت برائحة الطبقات تلك وهي تتمشّى ويدخل أنفها رائحة البارفان النسائيّ الغالي الذي تعكّر صفوه الروائح الأخرى من عرقٍ وملحٍ وما يتأتّى من السّمك الذي أصبح ضحيّة الشباك، أخذت زاويةً من زوايا السّفينة وقالت :

-انزل واحجز لنا الغرف وأنا سأنتظركم هنا

-حسناً إذاً

حمل آدم وسيمون الحقائب، تبعتهم كريستين واختفت بين الناس

التفتت فانتيلا إلى منظر البحر، كانت ترى بالاما المدينة السّاحلية لبلاد الملح والتي منعتها من رؤية سلوفيينا مدينتها الصّغيرة وتوديعها لآخر مرّة، لكن يداً ما شدّت بنطالها فالتفتت لتجد طفلاً صغيرًا يحاول الاختباء خلف فخذيها رفعت رأسها قليلاً لتجد سيّدةً مكتنزة اللحم تركض ناحيتها وتحملق في الصّغير بعيون جاحظةٍ

غاضبة، رفعت فانتيلا يدها طالبة من السّيدة التّوقف قائلة:

-أرجوك اهدئي إنه لا يزال طفلاً

-اغربي عن وجهي

أمسكت الصّغير من يده وشدّته إليها بقوّة، تلقف ظهره صفعةً شديدةً ثم حملته إليها وغابت بين جموع النّاس، أدارت فانتيلا رأسها مرّةً أخرى للبحر وتمتمت بغيظ :

-ما بال الأمّهات قاسيات، بدلاً من ارتداء هذا الفستان المشمشي المزخرف وتربية ثدييها ليصلا لهذا الحجم كان الأولى أن تعطف على هذا المسكين النّحيل .

لم يزل صوت السيّدة من أذن فانتيلا، كان صوتها غليظًا كمن يدخّن المارجواناولم تذهب كذلك صورة وجهها من ذهنها، كل هذه الألوان المرعبة ! يا إلهي كيف يتحمل زوجها النّظر في وجهها

-هههههه ربما مات

استدارت فانتيلا لتجد دانييل إلى جوارها وقد أشعل سيجارةً وراح ينظر للبحر باتجاه باناما، وضعت يدها على صدرها قائلة :

-يا إلهي أفزعتني، ابتسمت وأردفت

-ربّما مات من الصّدمة

-إنّها ليست قبيحةً إلى هذا الحد

-أعلم لكنّ مكياجها قبيحٌ للغاية، لو تركت نفسها على سجيّتها لبان هذا الوجه عوضًا عن تلوينه

-الألوان تعطي الحياة أحيانًا يا فانتيلا، ما أدراكِ أي نوعٍ من التّعب يسكن وجهها وتخفيه بالمكياج!

- الألوان تعطي الحياة على الورق وليس على الوجوه

-على كل الأشياء صدّقيني ..

مدّ سيجارةً لها وأشعلها ثم أشعل سيجارته .

كانت بلاد الملح تبتعد شيئا فشيئا عن عيونهما، وكانت مساحة البحر تتّسع رويدًا رويدًا، البحر هادئٌ وغامض

-هل فكّرت يومًا يا دانييل فيما يحويه البحر من عجائب!؟

-ربّما..

-أتعلم أنا مثلاً تثيرني الأساطير، قرأت مرّةً عن حضارةٍ كاملةٍ بلعتها المياه

-تقصدين أطلنطس؟

-أجل، ماذا لو كنا نعوم فوقها الآن مثلا!! هذه الحضارة التي حكمت العالم بأسره مرّةً، أتدري؟ أعني تخيّل ها هنا مثلاً " ومدّت يدها خارج أسوار السّفينة" هنا إلى اليمين تقع جزيرة أسدنيميا وهناك لليسار نهر بنيوس الصغير يهتزّ للآن من أثر ضرب هرقل الأرض، تخيّل عرش أوجياس وهو ينهار وتخيّل سكّين هرقل في قلبه ! تخيّل الأرض المليئة بالكنوز والعجائب، تخيل أسفل السّفينة مثلاً جثمان طيور ستيمفاليان المتوحّشة، تخيل أنيابها المليئة بلحوم البشر وكمّية الهياكل العظمية في أعشاشها، "التفتت إلى السفينة قائلة": تخيل عرشاً يفوق حجم هذه السّفينة بعشرات المرّات

التمعت عينا دانييل وقد بان سنه وهو يستمع، ثم التفتت مرّةً أخرى إلى البحر وأردفت:

-تخيّل في الشّمال جبل أوليمبوس الذي لم تخطوه قدم بشر وتخيّل منظر خيول ديوميد وأجسادها التي ترمى من قمّته، وأخيرًا تخيل في المنتصف أطلنطس ينتصف العرش الأسطورة هرقل وهو يرتدي ثوبًا أحمر يصل لركبتيه بوجهه الأشقر الفارسي، وهذه العضلات التي تملأ جسده، هل تعتقد يا دانييل أن نصف جسده كان نصف حصانٍ مثلا؟!

-ربّما ما قولكِ أنتِ؟؟

-ربّما، لكنَّني لا أظنّ ذلك، كان هرقل نصف إلهٍ ونصف بشرٍ حسب الأسطورة

-أجل أتذكر أنّي قرأت أمرًا تحدّث عن زيوس "أبوه الرّب" وكيف أنجبه لكنّي نسيت، أتذكّر فقط قصّة الربطة منتصف بطن ألكميني التي لفتتني ولم أستطع نسيانها مطلقا

-ما هي ؟؟ "وانفرجت أساريرها وكأنّ أحدًا يدغدغ قلبها

-أتذكر أن زيوس الرّب كان متزوِّجاً من آلهة تدعى هيرا لكنه أُعجِبَ بالبشريّة ألكميني فلم يستطع أن يمنع نفسه عنها، وعندما عاد زوج ألكميني ليلتها من الحرب لم يستطع كبح شهوته عنها فحملت ألكميني بابن زيوس وابن زوجها في نفس الوقت وكانت هذه أوّل مرّةٍ تحمل فيها إمرأة بتوأم لأبوين مختلفين، فنزلت هيرا من السّماء من شدّة غيرتها ليلة ولادةً ألكميني وجعلت آلهة الولادة تجلس على بطن ألكميني كالقرفصاء وتربط بطنها بثوبها لتقسمه نصفين، النصف العلوي فيه ابن زيوس، والسفلي فيه الابن لزوج ألكميني، وكانت من شدّ غيظها أن جعلت قسماً على نفسها بأنّ من يولد في هذه الليلة يصبح ملكاً أعلى، كانت آلهة الولادة تحاول أن تبطئ ولادة ابن زيوس للصّباح بهذه الطّريقة فيصبح أخوه ملكًا أعلى عليه، لكنّجالانتس خادمة ألكميني خدعت آلهة الولادة بأن

قالت أن التوأم نزل من بطنها بالفعل، فقفزت آلهة الولادة عن بطن ألكميني مفزوعة وتمّت عمليّة الولادة دون قصد..

-يا إلهي !!!!!

ابتسم دانييل وقد أكمل تحديقه بالبحر، أمّا فانتيلا غابت في خيالها، تتخيّل هذه الحضارة التي اختفت بلمح البصر وكأن شيئًا لم يكن !!

التفت دانييل للوراء، ثم لكز فانتيلا قائلاً:

-إنّه آدم، هيّا .. أردف وهما يسيران

-يبدوا أنه عانى في حجز الغرف، انظري إلى ملابسه ووجهه

قال آدم لاهثا :

-تشاجرت مع أربعة رجالٍ على الغرفة، ضحك ووضع يديه على ركبتيه في محاولةٍ لالتقاط أنفاسه، ثم أردف وهو يرفع سبّابته في الهواء:

-قالت فانتيلا أول ما وصلنا "قلّد صوتها"، " احجز الغرف وسأنتظرك هنا"، رفع رأسه ضاحكًا

-الغرف هههههه احمدوا الله أنّي بالكاد وجدت غرفةً هيّا بنا ..

ابتسم دانييل فيما ظل وجه فانتيلا مقتضبًا كمن لم يفهم النكتة، أو فهمها وتجاهلها، سارا خلف آدم ثمّ نزلوا درجًا خشبيًا مؤدٍّ لممرٍّ طويل، كان ثمّة رجال يقرعون الكؤوس في جهة وفي الجهة الأخرى صراخ أطفالٍ وسيدات، وفي آخر الرّواق حبيبان مشغولان بالمغازلة، نظرت فانتيلا إلى السجّاد البني المتسخ وتساءلت عن سبب اختيار هذا اللون دائمًا، هذا اللّون الذي طالما كرهته يلازمها، في حقيبة سفرها الكبيرة، في غرفة الجلوس في بيتها، في مكتبها، وها هو الآن في السفينة، مشوا حتى آخر الرّواق، ثم اتجهوا يسارًا، وقف آدم منتصف الطّريق وحكّ رأسه قائلاً:

-يبدو أنّنا ضعنا يا رفاق

اقتضب وجه فانتيلا أكثر، اكتست الحمرة وجه دانييل، ضحك آدم بقوّةٍ مرجعًا ظهره للوراء : يا إلهي انظروا إلى وجوهكم كيف تبدّلت، أخذ شهيقًا قبل أن يكمل : الغرفة ١٠٥ سيّداتي سادتي أهلاً بكم ..

فتح الباب، نظرت فانتيلا إلى دانييل قائلة :

-مزاجه اليوم عالٍ للمزاح، يبدو أنّ الرّجال في آخر الرّواق أسقوه كأسًا

ابتسم دانييل في وجهها، ثم دخلا الغرفة، كانت كريسين تجلس على سرير منتصف الغرفة بجانب سيمون وتضع فخدا على فخده، قال آدم

-ما رأيكم بها؟

نظرت فانتيلا إلى هذه الأسّرة البنيّة الثلاث وإلى الشراشف الحمراء، أدارت رأسها للحائط البنيّ، وإلى الطّاولة الخشبيّة في آخر الغرفة، مشت إليها ولمست المصباح الزجاجي الذي ينتصفها، ثم نظرت للأرضية الخشبيّة وقالت :

-لا بأس بها

-إذًا كانت تستحقّ شجاري مع الرّجال الأربعة ؟

ضحكت فانتيلا، فقال سيمون :

-هل أخبرتهم أني كنت الرجل الرابع ؟

جلست فانتيلا على الكرسيّ بينهما وقف دانييل أمام السّرير القريب من الباب وأخذ يرتب حقيبته، قالت وهي تدير رأسها بين آدم وسيمون

-ماذا حدث ؟؟

بدا آدم منشغلًا بمراقبة البحر من النّافذة الدّائرية، فأجاب سيمون

-لقد تشاجر معي لأجل هذا السّرير

لفّت رأسها إلى آدم

-أيّها الأناني، لماذا لم تعطِ طيور الحبّ هذه الإطلالة الرومانسيّة أيها اللئيم

لفّ آدم رأسه معاتبًا، بينما ضحك سيمون قائلًا :

-على رسلكِ عليه، تشاجر معنا ليعطيك السّرير، لقد قال أنَّكِ تحبّين التّأمل وسيسحرك النوم بجانب النّافذة والبحر

نظرت فانتيلا للأرض وقد احمر وجهها خجلًا

-اعتذر منك لم أقصد

التفت آدم مرّةً أخرى للبحر وقال دون أن يلتفت : ستنام فانتيلا على هذا السرير، وطيور الحب قد اختاروا موقعهم بالفعل، أما أنا ودانييل، " لف رأسه باتجاه دانييل وقال بخباثة

-احرصي أن ترتدي فستانا قصيراً يا دانييّلاا أمامنا ليلة حافلة بجوار بعضنا، سننام في حضن بعضنا يا حلوتي

انفجر الجميع في الضحك حتى دانييل الذي رمى الوسادة على آدم ..

كان الطقس يزداد برودةً ليلًا .. وكان البحر هادئًا في أوّل الأيام، لكن اليوم الرّابع حمل كارثة مع حلول المساء ..

خرجت فانتيلا في ذات اليوم إلى ظهر السّفينة عصرًا، كانت تهوى مراقبة النّاس ووجوههم المختلفة، اتّخذت زاوية هذه المرّة أيضًا وراحت تجيل رأسها بين هذه الوجوه، لمحت المرأة السّمينة اللئيمة، أخذت تراقبها من بعيد، لاحظت أن طفلها يجلس إلى جوارها وهو يدلدل قدميه ويحرّكهما في الهواء بفرحة ويأكل شطيرةً ما، ينظر إلى أمّه وهو يبتسم فتدير رأسها له كل قليل لتطبطب عليه وتبتسم له، اندهشت فانتيلا من قدرة الأمهات على التلّون ومن قدرة الأطفال على النسيان .

مدّت يدها إلى جيب معطفها، أشعلت سيجارة وعادت مرّةً أخرى للبحر، هذه المساحة الزرقاء الهائلة، تكاد تسرق من المرء كل ما اكتنزه عقله طوال سنوات وتقلبه رأسًا على عقب، فكّرت فانتيلا في أنطوانيت وكتابها المسروق، فكرت في دانييل، هذا المليء بالثقوب الذي عرفته لمّا عرفت آدم، كانت تعلم أنها نرجسيّة لا محالة، كانت تعلم أن ما فعلته لأنطوانيت لا يمكن أن يغيره الزمن

أو يمحيه، لكن أنطوانيت كان محبًّا، حتّى في رحيله، آثر تركها بعد أن عَلِمَ أنّها سرقت مخطوطته ونشرتها باسمها دون أن يعاتبها حتّى، طوال السنين التي غابها أنطوانيت ظلت فانتيلا تفكّر فيما إذا كان سيعود يومًا ما، في مصيره المجهول، وفي شهرتها الصغيرة التي من الممكن أن تختفي بمجرد ظهوره، طالما حلمت بالنجوميّة والثراء لكنّ التسلّق الذي اختارته أفقدها لذّة الشعور به، كانت وحدها تعلم حقيقتها، هي وأنطوانيت الذي آثر الهرب من حقيقتها تاركًا الشّكوك والشتائم تلاحقه عوضًا عن المحاربة لأجل حلمه الذي سُرق، لكن أيُّ دنيا أخذتك يا أنطوانيت، وأيُّ مساءِ سبتٍ ذلك الذي لم يعقبه صباح أحدٍ قط ...

لم تعلم فانتيلا كم طال تفكيرها أو قصر، غير أنها صحت من خيالها على صوت الرّجال يصرخون من حولها : احتموا بغرفكم إنّا نواجه عاصفةً هوجاء..

رفعت رأسها للسماء، نظرت إلى تكتّل الغيوم الرّماديّة التي بانت دون سابق إنذار، راقبت هذه الغيوم الكثيفة المحمّلة بالرّعد، نزل المطر على وجهها كالرّصاص، سريعًا جارحًا وبارد، أمسكها رجلٌ من ذراعها شادًّا إيّاها للوراء : ماذا تفعلين يا آنسة اذهبي لغرفتك الآن

ركضت مسرعةً للباب فتحته ونزلت الدّرج، لكنّ مَيَلان السّفينة كان شديدًا وسريعًا ومفاجئ، جعلها تتخبّط بالحائط يمنةً ويسرة، وتسقط أكثر من مرّة، إلى أن وصلت الرّواق، ركضت نحو الباب بصعوبةٍ غير أنّ أرض السّفينة لم تسعفها، فسقطت، رفعت رأسها لتجد دانييل وآدم يركضان باتّجاهها، أمسكها آدم من ذراعها قائلًا :

-عودي إلى الغرفة حالاً سنذهب لنفرغ الحمولة الزّائدة .

أسندت يدها للحائط، وسارت بصعوبة إلى أن وصلت الباب لكنّ كريستين قالت وهي تجرّ الحقائب :

-أسرعي يا فانتيلا سنصعد إلى ظهر السّفينة، بدأت المياه تغمر غرفتنا.

وصلت فانتيلا وكريستين وسيمون السّطح، كان الوضع كارثيًّا، تعالت أصوات الرّجال المتخبِّطين :

-سنعود سنعود أمامنا بحرٌ لا تُحْمَدُ عُقباه

كان الهواء يزداد رعونةً والسفينة تميل يمنةً ويسرة، تمسّكوا ببعضهم جيّدًا وساروا بمحاذاة أطراف السّفينة وهم يصرخون منادين على دانييل وآدم، هطل المطر أهوجًا وشديدًا وكان الناس

يتخبّطون من حولهم ويسقطون، تخلّل البرد أطرافهم لكنّ أحدًا لم يشعر به، إذ لابدّ من النّجاة، كانت عتمة اللّيل تمنعهم من رؤية الوجوه، اشتّد الرّعد فوق رؤوسهم، أضاءت السماء باللون الناري، كأنها فتحت أبواب غضبها وأعلنت الحرب، اشتدّت الرّيح وصرخ سيمون :

-تمسّكوا جيّدًا

قبل أن يصرخ صوتٌ من ورائهم :

-أسرعوا أسرعوا ...

كان صوت دانييل ثم أردف، هيّا ورائي آدم وجايكوب سنتوجّه للرحلة لا يمكن أن نظلّ على ظهر هذه السفينة إنّهم عائدون لبلاد الملح

أمسك الجميع بأطراف السّفينة وأكملوا سيرهم بصعوبةٍ بالغة إلى أن صرخ صوتٌ غليظٌ من ورائهم :

-هنااا لا تتحرّكوا أنا عائدٌ بعد قليل، سأجمع الرجال

قال آدم بصوتٍ عالٍ :

-هذا جايكوب سيجمع المرافقين، لا يمكن أن نعود لبلاد الملح

وجايكوب قال إنّه قادرٌ على قيادة القارب في هذا الجو، لا تقلقوا سيكون كل شيءٍ على ما يرام

نظرت فانتيلا للوراء، كانت الرّؤية غير واضحة، المطر شديدٌ والجميع يركضون ويتحركون بفوضويّة، اللّيل يغطي كلّ شيء، والخوف والصّراخ يملآن ظهر السّفينة، يبذل الرّجال جهدًا في رمي الحقائب، هناك من يسقط على الأرض وهناك من ينجح في رمي البراميل والحقائب، كانت ترتجف من البرد، بدأ الخوف يتسلّل أطرافها وأطراف الجميع، النجاة، الشيء الوحيد الذي اجتمع الجميع على التّفكير به، كان البقاء يعني الانتحار، والعودة تعني ضياع كلّ شيءٍ خطّطوا له، لم يكن ثمّة مجالٌ للتّفكير، لكنّ ميلان السّفينة المفاجئ أوقف عقولهم فجأةً وأسقطهم أرضًا، صدح صوت القبطان بالمايكروفون عاليًا : تمسّكُوا جيدًا سنعود

لكنّ عودة السفينة المفاجئ عن ميلانها جعل الماء يرتفع ويسقط بقوّةٍ محطّمًا جزءًا من أرضيّتها، ابتلعت فانتيلا الكثير من مياه البحر، ولم تستطع فتح عينيها من سقوط المطر على وجهها، خارت قواها، أمسكها دانييل بيدٍ وثبّت جسده ممسكًا طرف السّفينة باليد الأخرى، إلى أن وصل جايكوب ومعه مجموعة أشخاص، قال بصوتٍ عالٍ : سننتظر هدوء العاصفة، إنها في نهايتها، اقترب الفجر على البزوغ،

ساعةً واحدة ونتحرّك بالقارب، أرجوكم ارموا هواتفكم في البحر، لا يمكن الذهاب إلى هناك وإلّا تعقّبتنا السّلطات

لم تمر ساعة حتّى صرخ جايكوب قائلًا :

-هيا هيا تحرّكوا .

بدا أنّ البحريعود لصوابه .

توقّف المطر، وبدأ الفجر بالبزوغ، كان طعم الملح الذي ابتلعوه لازال عالقا في حناجرهم، بدت الوجوه الحزينة والمتعبة والفاقدة مع أوّل لمسةٍ من خيوط الفجر، كان الظلام قد بدأ بالاختفاء، ساروا وراء جايكوب الذي توقّف عند مقدّمة السّفينة قائلًا :

-القارب، لقد أنزلتُهُ هيّا عليكم أن تركبوه

قال آدم :

-كيف؟؟

-انزلوا في البحر واركبوه، ليست مسألةً معقّدة

لم يجد الرّجال صعوبةً في الأمر، ولا السّيدات، كأن أهل بلاد الملح ولدوا ليكونوا غوّاصين وسبّاحين ماهرين، كان القارب ضيّقًا بعض الشيء، شغّل جايكوب المحرّك، وسار عكس السّفينة التي

سرعان ما بدأت تصغر خلف عيونهم، وسرعان ما بدأت خيوط الشمس تضيء الوجوه المتعبة والخائفة، نظرت فانتيلا لهذه الوجوه الغريبة، كان ثمّة رجلٌ طاعنٌ في السنّ يجلس قبالتها، ممتلئ الجسد، ويبدوا عليه التعب والقلق، وإلى جواره تجلس ثلاث فتيات، وفي مقدّمة القارب رجل هادئ وحذق أبيض البشرة طويل القامة ومعه حقيبة كحقائب الرّحّالة، أغمضت فانتيلا عينيها وأسندت رأسها لكتف دانييل، وغابت في هدوءٍ وصمتٍ مطبقين ..

البحر ...

هذه المساحة الزّرقاء الهائلة التي يمكن أن تسحبك لأعماقها ولا تعيدك، ويمكن أن تخرج لك الدنيا وما فيها، هل هو كريم أم غدّار ! ربماليس ثمّة معقول في المسميات، ليس ثمّة منطق في الرؤى والآراء، كل شخص له زاوية الحكم على الأمور، وكل عينٍ ترى خلاف الأخرى، لهذا ربما ليس ثمّة معتقدٌ أو أساس ...

تفحّص جايكوب الرّجل الأبيض الممتلئ الجسد الجالس جلسة القرفصاء في القارب قبالتهم، نظر إلى هذه العروق الخضراء البارزة أسفل الجلد المنكمش، كان جوزيف طبيبًا ذاهبا لقضاء إجازةٍ في جزر الأنتيل، كشخص عاديٍّ ارتدى بذلته الرّماديّة هذا الصباح وحزم أمتعته ورشّ رذاذًا من عطرسلوفينيي يذكره بالراحلة لارا، تجاهل انقباضة صدره، ارتاد سيًّارة أجرة وغادر بيته الصّغير الملاصق لعيادته المكتظةِ بالفقراءِ والمرضى، احتاج هذه الرحلة كاحتياج المرء للهواء، كان على شفا هاويةٍ من الجنون، اذ ازدادت حدّة عصبيته حسبما قالت إيميليا سكرتيرته الشّابة، كانت هي من نصحته بمثل هذه الرّحلة، حتى يعود كيوم ولدته أمّه، تذكر ما قالته عن جزر الأنتيل، وعن الأحراش التي لا يُرى ما بعدها، وعن الأشجار التي تعيد للمرء طفولته وعافيته، وعن زهر اللوز ورائحة الكولونيا والبرتقال، ابتسم وهو يرمي نظره للبحر الممتدّ أمامه، ثمّ امتعض لمّا شعر بعيون جايكوب وآدم تلاحقانه .

سعل جايكوب سعلةً مفتعلة، ثمّ قال :

-هي يا سيد إيثين، أراك سارحًا في البحر

قال بصوتٍ خجولٍ غير مرتاح :

-أجل .. متى سنصل

نظر جايكوب إلى آدم واقترب من أذنه هامسًا :

-ثمّة طريقين أحدهما سرّيٌّ وخطر، إن مررنا به سنواجه طريقًا مائيًا غامضا لكّننا سنصل خلال يومين .

أدار آدم عينيه وهو يفكّر

-والآخر؟؟

-سيستغرق أسبوعًا ونصف على الأقل هذا إن لم ينفذ مخزون الطعام منّا

التفت إلى السيد إيثين الذي انقبضت جفنيه وبرزت تجاعيد جبينه كمن فهم ما قالاه

-يا سيد إيثين اقترب قليلًا

اخفض جايكوب صوته واقترب من إيثين قائلا :

-ثمّة طريقين لمشوارنا، الطريق الثّاني محفوفٌ بالمخاطر لكنّنا سنختصر الكثير من الوقت، ما رأيك؟؟

-أيٌّ نوعٍ من الخطورة ؟

-إن التزمنا بالتعليمات لن يتعدّى الخطر الطفح الجلديّ والحساسيّة إن أمطرت

-حسنًا إذًا أبلغنا بالتعليمات واسلكه ..

أومأ جايكوب رأسه للأسفل، ثم ذهب إلى المقطورة وأدار القارب

غفت فانتيلا على كتف دانييل قبل أن يوقظها صوت جايكوب الخشن

-أيها السّيدات والسّادة، أمامنا يومٌ ونصف لنصل إلى وجهتنا الأولى، إن وصلنا صباحًا سنرتاح قليلا ثم نتّجه لجزر الأنتيل أنا والسيّد إيثين ومن معه، قاطعه إيثين قائلًا :

-وإن وصلنا مساءً ؟

-إن وصلنا مساءً سننام في الجزيرة ونتحرّك صباحًا

رفعت فانتيلا رأسها عن كتف دانييل، فركت عينيها ونظرت إلى جايكوب قائلة :

-هل أنت متأكد ؟؟ إذ حسبما أعتقد أمامنا أسبوعان أو أقل لنصل !!

ضحك جايكوب

-لا تستبقي الأحداث يا آنسة، ستصدمك قوّة المياه اليوم

ساروا قرابة السّاعتين، لاح من الأفق مطر أحمر اللّون، اختلط المطر بالغروب وكأنّ السّماء تنزف، اقتضب جايكوب قائلًا :

-اسمعوني جيّدًا عندما أقول الآن سيغلق الجميع عيونهم، حاولوا تجنّب هذه الأمطار، غطّوا وجوهكم وجلودكم، تمسّكوا بأطراف القارب جيّدًا، أكرّر من يفتح عينيه سيفقدهما التزموا بالتعليمات لا تفسدوا متعتنا ..

إلّا أن إيثين أنزل يده للماء ثم رفعها وشمّها، ثم ابتسم وكأنّه أدرك ما يحدث، اقترب من جايكوب قائلًا : يبدوا أنّنا اقتربنا من ممرّ التيّارات الذي طالما سمعتُ عنه، أومأ جايكوب رأسه ثمّ صرخ

-الآن ...

وفجأةً أسرع القارب وكأنَّ يدًا ما تجرّه للأمام بقوّةٍ عظيمة، تمسّك الجميع بأطرافه وشعروا بتلاطم الهواء الشديد على وجوههم، أمسكوا ببعضهم البعض، تملّك الرّعب قلوبهم، كان القارب يسير مسرعًا دون توقّف، وكان الضباب يشتّد شيئًا فشيئًا، لم يتمكن أيُّ شخص منهم من النوم لشدّة الخوف من هذا المجهول،

وتساءلوا عمّا يحدث وإلى أين هم ذاهبون، كان صوت الهواء يشتدّ وصوت الرّعد يعلو، فتحت فانتيلا عينيها برفق وهي تمسك بيد دانييل وتعتصرها وبيدها الأخرى تمسك بطرف القارب، لترى الضّباب قد أكل كلّ شيء، لم تكن تدرك ما يحدث غير أنّ حركة القارب الانسيابية وسرعته وصوت الرّعد والرّياح المختلطان مع أنّ المطر لا يهطل ؛ جعلها تشعر أنّ يدًا ما تحرّك القارب، لكنّها أبعدت هذا الخيال عن رأسها وأغمضت عينيها ودفنت رأسها في صدر دانييل الذي كان صوت خفقان قلبه عاليًا، وبعد مدّة ليست بالقصيرة بدأت سرعة القارب تخفّ شيئًا فشيئًا لتعود للطّبيعي، قال جايكوب :

-الآن بإمكانكم النظر ..

كان أمامهم مدىً مفتوحًا من المياه الرّاكدة، نظروا إلى بعضهم البعض بفزع، كانت وجوههم لا تبشّر بالخير، كانوا كمن خرج من عاصفةٍ أكلت جنابه وعافيته، الأيدي مرتجفةٌ والأسنان تصتك ببعضها البعض، كريستين كانت قد دفنت رأسها في صدر سيمون، وآدم يجلس بجانب جايكوب ويحاول ازدراد ريقه، أمّا دانيل أخذ يطبطب على شعر فانتيلا التي لم تشأ أن تنزع رأسها من صدره، وكانت الفتيات الثلاث يمسكن بجوزيف وكأنّه آخر أملهن،

بدأت الرّاحة تتخلّل ملامحهم، إلى أن صرخ آدم مشيرًا للوراء :

-انظروا إنها اليابسة !!!

الفصل الثاني
"الدم الأصفر يفضح كلّ شيء"...

"لا أحد يخرج من هنا كاملا"

حط القارب على الشاطئ، كان الجو مشمساً والرمال حارقة وكأن الأرض تلفظ أحشائها، "عصيٌّ كان كل شيء، عصيًّا صار كل شيء "، تمتم دانييل في سرّه وهو ينظر إلى هذه الرمال الممتدة أمامه، " هنا ستنام أجزائي، هنا سأجد الخلاص، اقترب اللقاء يا كاميليا"، التمعت عيناه وغار فكره وهو ينظر مشدوها إلى حتفه، ترى ما الذي يجعل الإنسان فرحاً إلى هذا الحد من اقتراب أجله، ما الذي يجعل الإنسان يعقد صلحة مع ملك الموت منتظراً مجيئه !، هل بدأ ملك الموت العقد مسبقا وقت أخذ كاميليا ؟ وهل يصير الموت حلواً إذا اقترن بلقاء الحبيب !!..

حطَّ القارب، نزل جايكوب أولهم وبدء بحزم الأمتعة خارج القارب، أدارات فانتيلا عينيها، بدت الجزيرة هادئة وخالية من كلِّ أشكال الأساطير، جزيرة عادية كباقي الجزر أو أقل إثارة، تملؤها الأشجار المتشابكة الكثيفة، تحسست فانتيلا حرارة الرمال، ثم مدّت نظرها أمامها، كان ثمة أشجاراً عملاقة تنتصف الأشجار التي تراها، ابتسمت وقد التمعت عيناها وكأنها شعرت أن هذه الأرض ستعطيها الخيال الكافي لتكمل كتابها الثاني، قطع تفكيرها صوت إيثين الذي نادى على جايكوب بحدة :

-هي يا سيد جايكوب، إلى أين أنت ذاهب ؟

-سآخذكم لمكان آمن، ثم أكمل مسيري معكم غداً هيا انزل من القارب أنت وأصحابك

-لن أنزل ولن يتحرك أحد منّا، طريقنا كان جزر الأنتيل هكذا اتفقنا، لن تجرؤ أن تخل بوعدك

كان جايكوب محنياً ظهره فاتحا حقيبة سوداء يبحث عن غرض ما، صرخ إيثين مرة أخرى

-لا تتجاهلني أجب...

التقط جايكوب قبعة من القش وأخذ يجربها وقد ابتسم قائلا :

-ها أنت ذا أتعبتني أيتها المشاغبة

وضعها على رأسه ثم التفت نحو إيثين بهدوء قائلا

-أجل يا سيد إيثين ماذا كنت تقول

ازدادت حدّة عصبية إيثين :

-لا تحاول استفزازي!!!!!

-آه كنت تريد مني أن أوصلكم اليوم ؟ آسف اليوم أنا متعب أحتاج الراحة إلا إن كانت سيداتك يستطعن قيادة المركب

نظرت كساندرا وريتا وديلونا إلى بعضهنّ البعض بذهول !! وبهذا انتصر جايكوب عليهم بفطنته وهدوئه ..

سار الجميع وراء جايكوب، وقفوا أمام خشبة كبيرة علق عليها "لا أحد يخرج من هنا كاملا" .. ابتسم آدم :

-يبدو أن أقداما سبقتنا وتحاول أن تثير الرعب في قلوبنا

رد جايكوب

-سيروا ببطءٍ ورائي

مدّ يده للأمام قليلا وأردف :

-هنا بعد ٥٠٠ متر سنضع حقائبنا وننصب الخيام، هنا سيكون موقعنا

خرجت فانتيلا من خيمتها وقد اختفت الشمس وبدأ الظلام بالتخييم، كان جايكوب يجلس وحده بعد مئة متر مشعلاً أمامه ناراً ومسنداً ظهره على جذع شجرة، اقتربت منه فانتيلا ثم سعلت سعلةً مفتعلة .

التفت جايكوب للوراء وقد ابتسم وبانت أسنانه الصفراء في الظلام

-أهلا يا آنسة، كنت أعلم أنك قادمة

-حقاً ؟؟ كيف ذلك ؟؟

ضحكت فانتيلا وهي تجلس، رد جايكوب

-لقد سمعت وقع أقدامك وقد صنعت لك كوبا من القهوة كذلك تفضلي

-شكرا لك يا جايكوب

-على الرحب

كانت عينا جايكوب تلمعان تحت ضوء القمر، وكانت فانتيلا تسترق النظر كل فينة إلى وجه هذا البربري الفطن، لم تعلم كيف

تبدأ الحديث فبدأت بسؤال غبي :

-يا سيد جايكوب من يصنع لك جدائلك

شرق جايكوب بكوب القهوة لكنه تدارك الموقف، التفت إليها قائلا

-هل أعجبتك ؟

-أجل إنها جميلة

-أصنعها بنفسي، إذا أردت أصنع لك مثلها ؟

اقتضبت عيناها ولم تفهم المزحة، أمسكت خصالها وقالت :

-ألا تظن أن شعري قصير على مثل هذه التسريحة ؟

لم يعلق جايكوب وأكمل تحديقه بالنجوم، قاطعت فانتيلا صمته

-يا سيد جايكوب هل الأساطير التي تدور حول هذه الجزيرة حقيقية ؟؟

-بعضها فقط

-مثل ماذا؟

-ستكتشفين بنفسك

-أخبرني أرجوك

-عن ماذا ؟؟

-هل ثمة شخص يدعى إسحق يعيش هنا حقا؟؟

-أجل

-أين يسكن؟

-في الشرق

-هل أستطيع مقابلته ؟؟

-لا أظن ذلك، إنه لا يحب الزوار

-لكني أتيت لهذا الغرض

-أعلم أخبرني صديقك آدم، سأحاول إقناع إسحق بمقابلتك

أمسكت يده بحماسة

-شكراً لك يا سيد جايكوب شكراً شكراً

-العفو

-حسنا أخبرني إذا عن الجبال الت..

قاطعها قائلا

-نكمل عندماأعود من جزر الأنتيل، علي النوم الآن، وأنت كذلك أنصحك بدخول خيمتك

اقتضب وجهها

-هل؟؟؟ "ازدردت ريقها" .. هل هناك ما يستدعي الخوف؟

قام جايكوب وبدأ بإطفاء النار، دلق القهوة وأخذ يهيل التراب على كومة النيران

-لا أو ربما..

فزعت فانتيلا وقامت من مكانها، سارت وراءه وهي تجيل نظرها بين الأشجار وتنظر للظلام بحذر شديد، كان كل شيء طبيعيا وهادئا، إلا ما خلا من صوت صراصير الليل وعواء ابن آوى وبعض خرخشة الخفافيش، جلست فانتيلا في خيمتها وأخذت تفكر..

هل لليل صوت واحد في كل مكان !، وهل يختلف صوت الليل هنا عن صوته في بلاد الملح !، كان شبّاك غرفتها يحمل لها بعضاً من أصوات صراصير الليل وعواء الكلاب الضّالة أحيانا، لم تشهد مذ خلقت ليلا بلا صوت، لكن الليل هنا كان أشد التزاما وريبة، إذ أنها هناك تدرك تماما أنها بين أربعة جدران آمنة، لكنها هنا لا تدرك

إن كانت آمنة، لا تدري إن كان ثمة ضباع أو حيوانات مفترسة، سحرها هذا التناقض، سحرها شعور الأدرينالين وهو يرتفع رويدا رويداً، لم تدرك كيف غطت في نوم عميق، غير أن صراخ دانييل أفزعها، فتحت عينيها فوجدته واقفا مبتلا بالأمطار فوق رأسها، كان صدره يهبط وينزل، وكان يسند يديه إلى ركبتيه كمن سار طويلا، أرعبها منظر عينيه الحمراوين القادحة .

-ماذا ماذا حدث؟؟؟

-بسرعة يا فانتيلا أسرعي ثمة عاصفة هوجاء قادمة، هكذا قال جايكوب .

فزعت من فراشها .

-ماذاا ؟؟؟ عاصفةة؟؟

وأخذت تلملم أغراضها برعونة وهي ترتجف، ثم خرجت لتجد الجميع هلعين مثلها، نظرت للسماء، كان مطراً خفيفا لا يخيف ! لكنها ركضت كالجميع خلف جايكوب، ركضوا بين الأشجار المتشابكة، بدأ المطر يزداد سرعة لكن فانتيلا لم تكن مقتنعة بأن هذه أمطار عاصفة مخيفة، لم يكن ثمة هواء ينبئ بالكارثة !، وبعد مدة من السير وصلوا كوخا خشبيا محاط بسور صغير ومخبأ

بين الأشجار، كان من الصعب تمييزه، فتح جايكوب الباب ودخل الجميع وراءه

-اجلسوا هنا لحظة

احضر فانوسا زيتيا موضوعا على طاولة تنتصف الغرفة، ثم مدّ يده إلى درج الطاولة واحضر منه عود ثقاب وأشعل الفانوس، بدت العيون الغاضبة أسفل النور الأحمر الخفيف، بانت العيون الخائفة والعيون المترددة، كان صوت أنفاسهم يهدأ رويدا رويدا، توجه الجميع بعيونهم نحو جايكوب الذي بدا منهمكاً في إشعال الموقدة الخشبية، ترددت أسئلة كثيرة بصوت منخفض لكن أحداً لم يرفع صوته، شعر جايكوب بهذه العيون التي تلاحقه فاسترسل قائلا :

-حسنا اجلسوا الآن سأصنع لكم القهوة ثم أجيبكم، يبدو أنكم متشككون.

-حبذا!!!

قالت كساندرا التي وضعت يدها على خصرها وكأنها مستعدة للحرب، كانت عيناها الخضراوان تقدح شراً أسفل الضوء الأحمر الخافت، وكان شعرها الأشقر المبتل ينقط ماء على الأرضية أسفل

قدميها، بدأ جايكوب بتوزيع الكؤوس

-تفضلوا اجلسوا واستريحوا

خلع إيثين نظارته الدائرية وأخذ يمسحها بطرف قميصه قائلا:

-يا سيد جايكوب إن الأمطار لا تنبىء بعاصفة هوجاء

-أنا أدرى منكم بأرض هذه الجزيرة

-لكن الجو يخلو حتى من الرياح القوية

"رددت فانتيلا بتشكيك"!!

رد جايكوب :

-من أراد منكم الخروج فليخرج لا مشكلة لدي لكني وأمام الجميع بريء مما سيحدث له

-ليس القصد

قال دانييل الذي اقترب نحو جايكوب وربت على كتفه وأردف:

-شكراً لتحذيرنا، لا تغضب

ابتسم جايكوب لدانييل وأدار ظهره وجلس أمام الموقدة

-اجلسوا بجانبي لتجف ملابسكم إن أردتم

مرّ وقت قليل حتى بدأت العيون بالذبول، وبدأ الجميع بالتثاؤب معا، فتح جايكوب باباً يقع قبالة الطاولة على اليسار قائلا :

-من يشعر بالنعاس فليدخل، ثمة أربعة أسرّة كبيرة، توزعوا عليها، ناموا سوياً إن أردتم وفي الصباح سنغادر الكوخ

كان يبدو أن الجميع قد خارت قواه فجأة ولم ينبس أحد ببنت كلمة باستثناء التثاؤب والتثاقل ..

دخل الجميع الغرفة المظلمة التي خلت إلّا من أربعة أسرة بيضاء كبيرة

نامت كساندرا وريتا وديلونا على سرير واحد، ونام إيثين وجوزيف بجانب بعضهم، أمّا آدم فقد رمى نفسه على السرير الثالث وغط في نوم عميق وشخير طغى على صوت المطر المتخبط على السقف الخشبي، واستلقى سيمون بجانبه فاتحا يده لكريستين التي نامت بينهما دون سؤال، أمسكت فانتيلا يد دانييل واستلقوا على السرير الرابع، تنهدوا كمن أنهكه التعب بعد ليلة حرب طويلة، وغاب الجميع في ملكوت عميق .

***

"كان صباحا يكاد يكون عاديا لولا شخير السيد"

قالت فانتيلا وهي بالكاد تفرك عينيها وتقوم من السرير بتثاقل

-ما هذا الصداع العميق

قال دانييل الذي استيقظ واضعا يده على رأسه، ثم أردف

-آه صداع صدااااع

ردت فانتيلا وهي تتجه نحو الباب

-ربما هي آثار السفر

كل الأشياء تدور، نظرت للسقف، كل الأشياء تدور، شعرت بأن رأسها ثقيل، أغمضت نصف عينيها في محاولة لإيضاح الصورة الغبشة أمامها، مدت يدها لتمسك مقبض الباب، لكن الإغماء سبق يدها فسقطت على الأرض

-استيقظي يا آنسة

-فانتيلا!!

فتحت عينيها، كان وجه جايكوب الأسود المتعرق أول ما رأت، أدارت رأسها لليسار، بدا الرجل بعيونه الغائرة، دانييل، هذا الشاعري الممتلئ العيون، كان أنفه الطويل أحمر وكأنه لم يتوقف

عن البكاء، وفي عينيه دمعتين أبتا ألا تسيلا، أمسك يدها وساعدها على النهوض

-هل أنت بخير ؟؟ بماذا تشعرين؟

وبدا الصوت الغليظ الذي عرفته لسنوات

-لقد اخفتنا يا فانتيلا، ماذا ؟؟ هل تزورك أعراض الحمل منذ فترة ؟؟ ماذا سنسميه ؟

-اخرس يا آدم

ضحك آدم، وقف أمامها واضعا يدا على ظهره ويدا أمام بطنه،

-سأصبح أباً إذا وستسيرين ببطنك الممتلئ هذا أرجاء الجزيرة

لم تستطع فانتيلا عقد حاجبيها أكثر فانفجرت بالضحك، التفت آدم إلى جايكوب المنهمك بإعداد الحساء، سار بضع خطوات تجاهه ثم قال بصوت منخفض

-يا سيد جايكوب ضع للسيدة فانتيلا حصتين، ثم غمزه وأشار إلى بطنه قائلا

-بوبو

-ليس ثمة شخص على هذه الأرض قادر على إضحاكي

وإغضابي في آن واحد غيرك

التفتت إلى المكان قائلة

-أين نحن ؟؟

أجابها دانييل

-نحن خلف الكوخ يا فانتيلا، قال السيد جايكوب أننا سنأكل الحساء ثم يذهب ليقل أولئك إلى الأنتيل.

-جيد "التمعت عيناها وضربت كتف دانييل قائلة":

-لم يخبرني عن مكان السيد اسحق!!

-نسـأله بعد قليل

-ما الذي حدث لي ؟؟

-هه إن أخبرتك لن تقتلي السيد جايكوب عديني

-ماذا؟؟؟؟؟

وقفت أمام دانييل بعينيها المفتوحتين

-ما دخل جايكوب بالأمر؟؟؟

-عن ماذا تتحدثون

مدّت يدها

-آدم اهدأ لحظة، تحدّث يا دانييل ما دخل جايكوب؟؟؟

قال آدم

-ماذا قلت لها؟؟؟

-لقد سألتني عمّا حدث معها، فقلت أخبرك شرط ألّا تقتلي جايكوب

نظر آدم إلى عيني فانتيلا بمكر ثم أمسك ذراعها وقال بحدة

-انظري يا فانتيلا، البارحة وعند نومك ... مم

-ماذاحدثث؟؟؟؟

-لقد

-ماذاااحدثث

-لقد فعلها جايكوب وها أنت حامل بابنه

-ماذاا؟؟؟؟

انفجر آدم بالضحك، ضربه دانييل على كتفه وقال بنبرة مختلطة بالضحك والجدية:

-اكبراكبر يا آدم، اسمعي يا فانتيلا البارحة سقانا جايكوب شراب القهوة بجوز الهند المهدئ، كي ننام بعمق وهدوء هذا كل ما في الأمر

-هل وضع البربري لنا المنوّم ؟؟؟؟ " قالت وهي تضع يدها على خصرها مستعدة للشجار"

-ليس منوما بمعناها، مجرّد مهدئ للأعصاب

-الله وحده يعلم أية داهية يضعها في الحساء اليوم

-لا تبالغي، دعينا نعود هيا

-حسنا

***

جلست فانتيلا بقرب دانييل وآدم، وجلس أمامهم السيد إيثين والسيد جوزيف الهرم، بدأ جايكوب بسكب الحساء سائلا :

-أين الفتيات؟

-في الداخل

-ألّا يردن تناول الحساء ؟ طريقنا طويل

- لا

-سيندمن، لا أحد يفوّت حساء جايكوب

-أجل المخلوط بالعقاقير والسموم "قالت فانتيلا بصوت منخفض" .

لكن جايكوب بدا وكأنه فهم ما ترمي إليه، كانت ترى في عينيه الحذقة شيئا من الفطنة و الريبة، وشيئا آخر لا تفهمه .

أمسك الجميع أطباقهم الخشبية، أخذ آدم يقلّب في الحساء بالملعقة

-ما هذا ؟ جزر ؟؟ "نظر إلى دانييل مستفهما

-لا أدري، طعمه يشبه الجزر قليلا، لكن الحساء حلو وحاذق، إنه جيد

انتهى الجميع من الأطباق

-ضعوهم بجوار القدر

قال جايكوب ..

-ناموا في الكوخ الليلة سأذهب لأوصل الأخوة وأعود لكم، لا تقلقوا، إن احتجتم لأي طعام كل شيء موجود في مستودع الكوخ، اصنعوا ما تريدون لأنفسكم، وداعا

سار جايكوب مع البقية باتجاه الجنوب، وسرعان ما اختفوا من أمامهم .

معظم الأشياء تبدو جميلة للوهلة الأولى، كان عليك أن تدقق النظر، كان عليك أن تعيد حساباتك، لكن الأوان كان قد فات، وبدأ الليل يحل سريعا، كأنه رداء ألقي على الأرض المجهولة هذه ..

كان دانييل يجلس وفانتيلا خارجا قرب النار يقابلهما آدم وكرستين التي بدت متوترة غير مرتاحة

-أين شردت؟

-أفكر في اللانهاية .. هل لكل شيء حتمية النهاية في هذه الحياة ؟؟ إذا كان فلماذا بدأنا إذا ؟ ما الجدوى يا فانتيلا أخبريني أنتِ؟؟

احتضنت فانتيلا فخذيها، كان وجهها الأحمر الممتلئ يلمع أمام النار، تنهدت قبل أن تقول:

-لا أدري، ربما هو عبث وتيه، لكننا بها يا دانييل، ألا تظن أن الأمر كافٍ لنكتشف ؟ "أمالت رأسها إليه" ما رأيك؟؟

-لا، ليس كافٍ البتة، هذه الحياة بحاجة إلى خبير، وأنا لست إلّا هاو..

لمعت عيناه الحادة، فكرت فانتيلا في هذا الفتى الحسّاس إن

صح أن تصفه بالفتى، كانت تشعر أن الرجال لا يجدر بهم البكاء، كانت تؤمن أن دانييل لم تكتمل الرجولة فيه بعد، لكنها الليلة لم تعد تعرف ما تؤمن به وبما تكفر، هل حقاً ليس ثمة جدوى من كل هذا العبث الذي نعيشه، قطع حبل أفكارها صوت دانييل المخدوش :

-أنا لست إلا هاو، فقدت نصف أشيائي التي أحب بالموت، وتكدّس نصفها الآخر في شقتي البالية، لم أكن يوما خبيرا لأجتاز لكن يا فانتيلا وعندما أرحل، انشري قصتي في الجريدة، واعرضي رسوماتي تخليدا لذكراي فالناس في بلاد الملح تعشق الدراما والتراجيديا، ستغريهم قصة كفاحي، وسيفتح صاحب الشقة الجشع بكرشه الممتلئ مزادا علنيا لشقتي قائلا "هنا كان يقطن الرسام الذي مات من حزنه على حبيبته هنا كان ينام المسكين " هذا إن لم يفتحها متحفا كذلك ..

-هدئ من روعك

التفت إلى كريستين ورفعت صوتها قليلا

-ما بك يا كرستين ؟؟ أراك شاردة ومتوترة ؟؟

هزّت كريستين رأسها متفاجئة وكأن فانتيلا أدارت ماءً باردا على وجهها

-لا .. لا شيء

-تحدثي، هل حدث شيء بينك وبين سيمون ؟؟

-أجل .. لقد تشاجرنا اليوم وخرج غاضبا ولم يعد للآن

-آه أنتم لا تكفون عن المشاجرة إطلاقا، لكن لا تقلقي ربما يكون خلف الكوخ يقلقك عليه كعادة العشّاق ..

وقفت كريستين وهي تفرك فخذيها

-لا لقد تأخر الرجل حقا، أين سيكون ؟؟

-ربما أكلته إحدى الوحوش

آدم ليس وقت مزاحك السخيف، ألا ترى عصفور الحب قلقا على حبيبه "قالت فانتيلا وهي تنهض"

-حسنا لندخل الكوخ الآن وإن لم يأتِ سنذهب لنبحث عنه عندما يحل الفجر، لقد بدأ الجو يزداد برودة .

اتسعت حدقتا كريستين واحمّر وجهها غضبا وانفعالا

-ماذاااا؟؟؟؟ كنتِ أنانية ولا زلت، لن تتغيري يا فانتيلا مطلقا

ارتفع صوتهما في الظلام فأمسك دانييل ذراع فانتيلا وسحبها إلى الداخل وخرج ليدخل كريستين غير أن آدم كان قد سبقه وأدخلها

-سنترك النار مشتعلة، وسنجلس بجوار النافذة ريثما يظهر سيمون

أمسك آدم بوجه كريستين بكفيه وقال بنبرة هادئة :

-هنا في الداخل نستطيع أن نراقب المكان بشكل أفضل يا كريستين،اطمئني

بدت كريستين مرعوبة غير مرتاحة، وضعت كرسياً امام النافذة وجلست تحدق بحذر، دخل دانييل الى الغرفة فوجد فانتيلا تدفن رأسها أسفل الوسادة وتجهش، لم يدر ما يفعل غير أنه فكر أن ينام على السرير الآخر ليعطيها مساحتها في البكاء، كان يؤمن أن لكل منا فوراته ولحظات انهياره، وأن المرء بحاجة للبكاء كالضحك تماماً ؛لهذا لم ينبس ببنت كلمة .

صرخت كريستين فجأة وقد قفزت على الكرسي ومدت يدها للنافذة

-سيموووون عاد سيموووووون افتحوا الباب

ركض آدم للنافذة قائلا بانفعال :

-أينن ؟؟؟؟ أين هو

-قلت لك افتح الباب "وركضت نحو الباب، لكن آدم منعها وأمسك يدها وجرّها أمام النافذة

-نتأكد أولا يا كريستين ثم نحن لسنا في بلاد الملح، لا ندري ما يعيش هنا

جحظت عيناها الغاضبتان والمنتفختان من أثر البكاء وقالت بصوت فيه تهديد وعتب ولوم

-افتح الباب ها هو

-أريني

أشارت للنافذة لكنّ أحداً لم يظهر، كانت أشجار السرو العملاقة تتحرك من شدة الهواء

-ليس هناك أي أحد انظري جيدا

نظرت مرة أخرى وقالت:

-لقد كان هنا أقسم لك أني رأيته يركض خلف تلك الشجرة قادما

-يا كريستين ربما تخيلتِ أو كان حيوانا ما ..

-مجنونة ؟؟ أتظنني مجنونة ؟؟؟ قلها ممَّ أنت خجل ؟؟

-لم أقل هذا استريحي فقط، سأذهب لأحضر لك كوبا من القهوة ..

أدار ظهره وما إن سار بضع خطوات حتى التمعت عينا كريستين مسحت أنفها وعينيها بكمّ ثوبها، ثم ركضت نحو آدم وقالت له بهدوء:

-اجلس أنت أمام النافذة ولا تغفل عنها لحظة سأحضر القهوة أنا

-حسنا

دخلت كريستين المستودع الخشبي وأخذت تفكر

-جوز اله .. ها أنت ذا

"جوز الهند .. أضع له من الذي وضعه لي جايكوب، وأخرج بحثا عن سيمون، عليّ أن أسرع قبل أن تحل به كارثة ما "..

قدّمت القهوة لآدم الذي سرعان ما بدأت عيناه بالذبول وبدأ بالتثاؤب، .. طرقت الباب على فانتيلا ودانييل أ أدارت مقبض الباب بحذر، كان دانييل نائما وفانتيلا تغط في نوم أعمق، خرجت من الباب على أطراف أصابعها، مدّت يدها لجيب بنطال آدم وسرقت المفتاح متذرعة بمنديل، ساعدته على النهوض،

أدخلته الغرفة وأغلقت الباب عليهم بالمفتاح ثم خرجت، كان الليل خارج الكوخ حالكا والهواء شديد، خافت لكنها قاومت هذا الخوف وراحت تصرخ بشكل جنوني على سيمون، كان من الصعب عليها أن تميز الأشجار إذ غطّت الغيوم المتلبدة نور القمر الخافت، فمدّت يدها وقد أغمضت نصف عينيها وبدأت تسير بصعوبة، توغّلت أكثر في الغابة، تراءى لها شيء أمامها سار بسرعة البرق لكنها لم تميز غير أنها ازدردت ريقها بصعوبة، وبدأ الخوف والبرد يتخللان جسدها شيئا فشيئا، لمحت نوراً خافتاً يبعد خمسين ميلاً الى يمينها وتوجهت نحوه، كانت اوصالها ترتعد مع كل خطوة و بازدياد الجلبة من حولها صارت تركض دون إدراك ونسيت أمر سيمون للحظات وكأن كل ما همها وقتها أن تصل للنور، أن تصل لمرتع الأمان ذاك لا أكثر، ثمة أنانية في كل واحد منا، اعترفت فانتيلا بهذه الأنانية وأقرت بها وقت عرَتها كريستين أمام الجميع لم تكن تبكي على هذا الوصف، كانت تبكي على نفسها ليس إلا، في كل شخص منّا أنانية وثقوب، لكن فانتيلا طالما تساءلت عن هذا الأمر، إن كانت الثقوب تملأ الأشياء كلها فأين ثقب أنطوانيت إذاً ؟!.

وصلت كريستين إلى المكان بصعوبة، كان يبدو بيتاً غريباً بعض الشيء، طرقت الباب وحملت عصى خشبيةً ووجهتها أمام الباب،

أعادت الطرق عدة مرات قبل أن يجيب صوت رجولي هادئ من الداخل :

-من ؟؟ من الطارق ...

ترددت في بادئ الأمر، ثم استرسلت :

-افتح يا سيدي أرجوك .

فُتح الباب ...

ظهر من خلفه رجل خمسيني أبيض الشعر، يرتدي نظارة بلحية وشارب كثيفين وشعر مرتب للوراء .

-من ؟؟ من أنت ؟؟

-أنتِ من ؟؟ أنتِ طرقتِ بابي وتحملين عصا لتهديدي ؟؟

تنبهت كريستين إلى العصا فرمتها على الفور .

-آسفة، أعتذر منك، أنا ... هل يمكنني الدخول يا سيدي ؟

دخلت كريستين بتوتر وأخذت تجيل نظرها في المكان، كان بيتاً هادئاً تملؤه الأقفاص الخشبية واللوحات الزيتية الغريبة

-تفضلي اجلسي على الأريكة وراءكِ

نظرت وراءها ؛ كان ثمة أريكة واحدة جار عليها الزمن ؛ سوداء متشققة من أثر الجلوس .

جلست كريستين وراحت تبكي

-أعتذر يا سيدي لكني..... لقد أتينا في رحلة تخييم وقد اختفى حبيبي عصر هذا اليوم المشؤوم فخرجت أبحث عنه ووجدت نفسي أمام بابك .

قلع السيد نظارته وأخذ يمسحها بطرف سترته الرمادية البالية

-أوه يا آنسة، أنا آسف لما حدث لكِ ؛ لكن لا تقلقي سأساعدك في البحث عنه .

- حقاً ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- أجل فأنا أعرف طرقات هذه الجزيرة أكثر مما أعرف نفسي .

عقدت كريستين حاجبيها مستفهمة فابتسم السيد

-أنا أدعى إسحق بالمناسبة

-هل أنت إسحق ؟؟؟؟

فتحت عينيها بذهول!!

-أجل .. وهل تعرفينني؟؟

-كل أهل بلاد الملح يعرفونك ..

-جيد هذا جيد ..

سار إلى الأمام وجلس على كرسي خشبي قبالتها، سالت دموعها مرة أخرى

-أرجوك يا سيدي إن حدث له أي شيء سأموت ..

-لا تقلقي هذه الجزيرة آمنة

-حقا؟؟؟

-أجل، اطمئني سنجده الليلة، ارتاحي قليلا وسنتحرك للبحث عنه بعد قليل

غارت عينا كريستين، أسندت رأسها على يدها وأرخت يدها الأخرى على حجرها، نظر إسحق إلى هذه الفتاة وتساءل في سره عن ماهية الحزن، هذا الأسود الصغير قادر على التغلب على العمر والأرقام والدنيا بحالها، لقد بدت كريستين سيدة عجوز مكلومة لوفاة أبنائها وقد مرّ الدهر مُرّاً عليها، لكن هذه اللوحة التي أمامه عرّته أمام نفسه وجعلته يقف حائرا وهو يفكر، هل كان سيبدو أصغر سنا لو أن ما حدث له لم يحدث، تنهّد ثم قام للداخل وعاد حاملا معطفين وحقيبة، مدّ يده لكريستين

-تفضلي ارتدي هذا المعطف، سنفكر أين من الممكن أن نجده

-شكرا

حمل السيد إسحق مسدسه وأعطى كريستين مصباحا يدويا ثم قال :

-لا تفارقيني لحظة، ابقي بقربي، سنجده يا فتاة آمني بذلك ..

نظرت إليه كريستين وكأنها تشكك بما يقوله لكن ما باليد حيلة، خرجا من الباب الخشبي، كان الهواء قد هدأ قليلا لكن الظلام ازداد حلكة، وهذين المصباحين لا يكادان يضيئان لهما إلّا ممرا صغيراً أمامهما، توغلا في الغابة أكثر، تمالكت كريستين قوتها وعادت تنادي بأعلى صوتها :

-سيمون سيموووونن

لكن أحداً لم يجب، لم يرد صوت سيمون ولو للحظة واحدة، ولو لمرة أخيرة !!

سارا لساعات بين الأشجار الكثيفة والرياح الباردة، وفجأة أمسك إسحق كتف كريستين وهمس في أذنها :

-لا أريد أي جلبة أطفئي مصباحك ولا تحدثي أي صوت، ثمة

مفترسات هنا ..

سحب المصباح من يدها، اطفأ مصباحه كذلك، أمسكت كريستين بمعطفه وهي ترتجف، ثم شعرت فجأة أن سيلا حاراً يخرج من بين فخذيها، لقد بللت نفسها، وبدأت تكز على أسنانها، سارت وراء إسحق ببطء وصعوبة بالغين ..

-تمددي الآن ...

تمددت على الأرض دون تفكير، وتمدد إسحق بجانبها، كانت تشعر أن شيئا طار من فوقها، لكن سرعان ما تكررت التجربة، همس إسحق :

-لا تخافي إنها طيور الكاميني العملاقة

أغمضت عينيها المرعوبتين وغطت أذنيها، كان صوت الطيور يزداد ريبة وسرعة، نعيق كالغراب مختلط بحشرجة عالية، ازدادت دقّات قلبها حتى شعرته سينفجر، شعرت بأن جسما ما هدّى على ظهرها، فالتفت وصارت تصرخ وتصارعه، لكنه نقرها على وجهها وأسال الدم منها، قبل أن يتدخل إسحق ويضربه بعيدا، أمسكها محاولا تهدئتها وقد وضع يده على فمها لإسكاتها، اعتصرها بقوة حتى هدأت أوصالها المرتعدة، كان وجهها يسيل، همس إسحق في

أذنها

-قليل، قليل من الوقت فقط وسيرحلون اهدئي أرجوك ..

أمسكت ذراعه بكلتا يديها وكورت نفسها بجانبه، مرّت عدة دقائق قبل أن يقول لها ..

-هيا أسرعي قبل أن يعودوا

ساعدها على النهوض، تحسست وجهها، كان لا زال ينزف، ضغطت بيدها عليه، مدّ إسحق يده للسماء قائلا :

-انظري بدأ الفجر بالبزوغ ..

وما هي إلا دقائق حتى غطى النور المكان وبدأت أشعة الشمس تتسلل إلى زوايا الجزيرة

بدت كريستين منهكة، نظر إسحق إلى وجهها وتنبه إلى الجرح فأمسك رأسها بكلتا يديه وقرب وجهه من الجرح ثم ابتعد عنها وفتح حقيبته وتناول منها مجموعة من القطن ولاصقة للجروح وزجاجة ماء شرب من الماء وأعطى كريستين شربة ثم سكب الماء على يديه وغسل لها الجرح وغطاه بالقطن واضعاً اللاصق فوقه سارت كريستين وراء إسحق بصعوبة وإنهاك التفت اليها إسحق فجأة وكأن فكرة لمعت في رأسه :

-هل يحب صديقك البحر ؟؟

-البحر .. ربما آآه أجل إنه يعشق البحر !

-الشاطئ، هيا إلى الشاطئ إذاً

وكمن بُثَّت الروح فيه، تحركت كريستين وراء إسحق بحيوية، وعندما وصلوا الشاطئ ساروا إلى جوار الماء، راحوا ينظرون لكل حبة رمل وكل حجر صغير، وبعد مدة من السير دون جدوى مدّ إسحق يده موقفاً كريستين، عدل نظارته ثم التفت إليها قائلاً :

-هذه آثار أقدام حيوانات الأيل .. سيري خلفي بحذر، كي تكوني أسلم أبقي هنا دون حراك.

غاب إسحق عن عينيها للحظات، وسرعان ما عاد مخطوفاً وجهه والعرق يتصبب من جبينه كالغِريق، ابتلع ريقه وخلع نظارته وامسك بذراعيّ كريستين المذعورة

-ص ص صديقك .. صفيه ..

-ماذا هناك؟؟؟

-صفيه .."قال بحزم"

-أشقر .. مربوع

-توقفي !! سيري ورائي ولا تنظري، التصقي بظهري، التصقي بظهري، إياك أن تنظري ..

أنزلت كريستين رأسها وازدردت ريقها، أمسكت بمعطفه وألصقت وجهها بظهره، سارا بضع خطوات قبل أن يلتفت إسحق إليها :

-لا تفزعي .. هلّا نظرت بتمعن .. هل .. هل .. هذا هو ؟؟؟؟

مدّت كريستين رأسها .. سقطت على ركبتيها، جره السيد إسحق ووضعه أمامها ..

كان جثة هامدة، رأسه مازال مكانه لكن أحشاءه فُرِّغَت، قلع إسحق معطفه وغطى بطنه، وكريستين .. لم تنبس ببنت كلمة، خُطف لونها على الفور، خرّت من طولها ..

***

تسللت الشمس إلى الكوخ عنوة، أفاقت فانتيلا على صوت دانييل ينادي فخرجت بسرعة ..

-كريستين .. كريستين أين أنتِ؟؟؟

-لا تقلق لقد خرجت في الليل تبحث عن حبيبها ..

التفت دانييل وقد جحظت عينيه

-ماذا؟؟؟؟؟

-كما أقول "عادت إلى الداخل في لا مبالاة مريبة"

تبعها دانييل بسرعة، أمسكها من ذراعها قائلا بغضب:

-أخبريني الآن كيف ؟؟؟؟ ماذا وأين ؟؟؟

-اترك يدي لقد آلمتني، لقد انتظرت نومنا، ثم تسللت في الليل..

-وما أدراكِ أنتِ؟؟؟

-كنت مستيقظة..

-ولم تحاولي منعها ؟؟ ؟علا صوته أكثر وكأن غضب الدنيا وبراكينها انفجرت في عنقه الطويل، برزت عروق رقبته

-لا تصرخ في وجهي ما دخلي أنا ..

سارت للأمام، أمسكت كوب القهوة البارد من جوار النافذة واستنشقته..

-جوز الهند.. لقد خدّرت آدم إذا، هل كنت لأستطيع منعها ؟؟ دعها تتعلم من نفسها يا دانييل

نظر دانييل إليها وخرج غاضبا مغلقا الباب وراءه بقوة، عادت فانتيلا إلى الداخل وأخذت تجهز حقيبتها، كان إسحق كل ما تفكر به في هه اللحظات..

-آدم استيقظ هيا

قام آدم بتثاقل واضعا يده على رأسه

-آه صداع رهيب

-أجل من الآنسة كريستين، لقد خدّرتك يا سيد وخدعتنا جميعا

قام آدم منتفضا من فراشه

-ماذا حدث أين هي؟؟

-خرجت في الليل تبحث عن سيمون

-ماذا؟؟؟

-هون عليك تكون قرب الكوخ، أنت تعرف أنها جبانة

قام آدم فزعا وخرج .. كان دانييل يحاول تسلّق شجرة فصرخ آدم من وراءه :

-هي دانييل أين هي؟؟؟

نزل دانييل وهو يلهث قائلا :

-لا أدري .. لا أدري يا أخي أتمنى أن تكون بخير

ربت آدم على كتفه قائلا :

-أنا واثق أنها بخير

لاح من البعيد أشخاص قادمون

-من هؤلاء ؟؟؟

-لا أدري !، تعال نختبئ في الداخل حتى نكتشف من هم

دخلا وأغلقا الباب وراحوا يراقبون النافذة، كانوا يقتربون شيئا فشيئا من الكوخ، وسرعان ما بانت الوجوه الغاضبة أسفل حرارة الشمس، كان جايكوب وإيثين وجوزيف والسيدات عائدون، تعجّب آدم ودانييل وخرجا ..

دخلت السيدات الكوخ وهنّ يتأففن، دخل إيثين وجوزيف الذي بدا متعبا، وتبعهم جايكوب الذي كان غاضبا وعرِقا .

استيقظت كريستين بشفاهها المتشققة وعينيها الغائرة، كانت تأمل أن كل ما حدث كان حلما .. كابوسا لعين ..

-سيمون ..

قال بصعوبة فبدا وجه خمسيني بنظارة مدورة وشعر أشعث فوق رأسها، طبطب على رأسها :

-هوني عليك

-أين سيمون ؟؟

-تعالي معي .. هيا .. أين أصدقاءك في التخييم ؟؟

- إنهم في الكوخ

-أي كوخ؟

-جايكوب أخذنا إليه ..

-هيا لنذهب لهم .. يكون سيمون معهم

قامت كريستين معه، أمسك الرجل ذراعها بحنو وغادرا المنزل .. لقد كان يشفق عليها، كانت تبدو جثة لا حيل فيها، وكان لابد من أن يكذب عليها ليوصلها إلى بر الأمان، لبعض الوقت على

الأقل ..

وصلا الكوخ، طرق إسحق الباب، فتح جايكوب قائلا :

-إسحق ...!!

قبل أن يتنبه لكريستين الممسكة بمعطف إسحق من الخلف قائلا :

-كريستيين ... تعالوا يا رفاق لا داعي لنبحث عنها ها قد أحضرها إسحق ..

ركض الجميع عند الباب، كانت كريستين ذابلة لا حيل فيها، عيناها حمراوان ووجهها أصفر وعلى خدها جرح مقطّب عميق، لم يسبق أن رأوها بهذه الحالة .. سأل آدم :

-أين سيمون ؟؟؟

تنبهت كريستين فسقطت على ركبتيها وصرخت من قحف رأسها ..

-سيموووون ... سيمووووون ... سيمووووون ... لقدد .. لقد قُتل ..

وراحت تهذي وتهلوس، تصرخ تارة والدموع لا تنفك عن

السيلان، وتهدأ تارة أخرى وهي ترتعش، حملها دانييل إلى الداخل، وجهز جوزيف حقنة وحقنها بها.. قائلا :

-ستهدأ في غضون دقائق ..

كانت تصارع الوجوه والوجود، كانت تصارع الجميع، وضعوها على الفراش .. وما هي إلا دقائق حتى غطّت في نوم عميق ...

جلس الجميع خارج الغرفة، بدوا متأثرين ومتعاطفين، سالت دموع الجميع حتى الفتيات المتغطرسات بكين عليه كأنه حبيبهن، أخذ السيد إسحق يحكي للجميع ما حدث، وراح يشرح لهم خطورة البقاء في هذه الجزيرة، ثم أردف :

-لو أنكم رأيتموه يا سادة، لقد أكل الأيل أحشاءه كلها !! مسكين يا سيمون ..

ارتعدت أوصال جميع من في الغرفة، سأل إيثين مستغربا :

-هل يأكل الأيل أحشاء البشر ؟؟؟

-يا سيد .. في هذه الجزيرة كل شيء يبدو عاديا ويشبه الأشياء .. لكن العبرة في الماهية، فجوز الهند مثلا فاكهة هنا وهناك، لكنها هنا مهدئ ومنوم، والحيوانات حيوانات هنا وهناك، لكنّ القطط

هنا مفترسة والأسود أليفة، عليك الحذر من كل الأشياء لأن شيئا لا يبدو كما هو عليه ..

سألت كساندرا بتوتر :

-هل رأت كريستين سيمون وهو ... أعني

-فهمتكِ .. أجل لهذا أرجوكم عاملوها برفق من هنا حتى وقت المغادرة

-ربما لن نغادر

"قالتها كساندرا وهي ترمق جايكوب بنظرات حادة"

فاسترسل جوزيف :

-يا سيد إسحق .. أنت تعرف هذه الجزيرة جيدا .. هل ثمة طريق للخلاص منها ؟؟ لقد حاولنا الرحيل أول البارحة لكن شيئا أسقط القارب بنا وحطمه .. أحدنا لم يصب بأذى سوى القارب، أنا رجل سبعيني وطبيب، أعني أنا لست مجنونا أو خرِفا، أعلم أن الذي حدث معنا ليس شيئا عاديا، ثمة من يهدد بقاءنَا أو رحيلنا ها هنا ..

مسح إسحق عرقه وقال :

-سأحاول مساعدتكم الآن لنذهب لدفن صديقكم سيمون، لقد وضعته في غرفة في بيتي

نظر دانييل إلى آدم، سال دمعه دون أن يشعر، احتضنه آدم وربت على كتفه قائلا :

-هيا يا دانييل، ما باليد حيلة، هيا ..

قال جايكوب :

-يا سيد إسحق، تبقى السيدات إلى جوار كريستين أفضل ؟؟

-أجل بالتأكيد .. لا أتمنى لهنّ رؤية المشهد أصلا .

سار الرجال وراء جايكوب وإسحق اللذان أخذا يتبادلان الحديث طوال الطريق، وعندما وصلوا .. فتح إسحق الباب قائلا :

-تمالكو أعصابكم ..

أدخلهم إلى الرواق الثاني، وقف أمام باب الغرفة وأعاد تنبيهه لهم بأن يتمالكوا أعصابهم.

فتح الباب، كانت جثة سيمون فوق السرير مغطاة بشرشف أبيض، علا صوت نحيب دانييل .. سالت دموع الرجال، وما إن رفع إسحق الغطاء عن الجثة، حتى سقط الرجال على ركبهم

مذعورين، ارتعدت أوصالهم، لم يجرؤ أحد على الاقتراب باستثناء جوزيف الذي تقدّم من الجثة وأخذ ينظر إلى هذه البطن المفتوحة باندهاش ..

-هذا .. هذا .. هذا ليس عملا حيوانيا .. هذه سرقة أعضاء!!!

-ماذا ؟؟؟؟؟؟ "سأل إسحق مذعورا" سرقة أعضاء!!!!

-أجل يا سيد .. هذه سرقة أعضاء اخرجوا ودعوني مع الجثة .. جايكوب أغلق الباب بإحكام، سأتفحّص الجثة

-تتفحصها؟؟

-أجل، سأتفحّص الجثة كالعادة، لا أحمل أدوات التشريح وإلا كنت شرحتها ووقفت على أسباب الوفاة ..

-وما الفائدة ؟؟؟ " سأل دانييل بضعف بالغ وأردف " :

-مات صديقنا لقد فقدناه .. فقدناه يا آدم، ليس ثمة جدوى من التشريح يا جوزيف .. لا شرطة هنا أساسا ولا قانون، حتى إن عدنا ماذا سنستفيد، لن يجرؤ أحدنا على القول أننا كنّا هنا ..

كانت الستارة البيضاء تتحرك على النافذة بتمايل، وتسقط أشعة الشمس على الكرسي الخشبي البنيّ الفاتح اللون بجانب السرير ..

-ربما بيننا قاتل ...

قالها جوزيف بحزم بالغ وأكمل وهو يفتح حقيبته ويجهز أدواته:

-هذه هي الفائدة يا دانييل، اخرجوا الآن ..

خرج الجميع من الغرفة باستثناء إيثين .. نظر إليه جوزيف قائلا:

-اخرج معهم يا إيثين

-أنا طبيب كذلك يا جوزيف .. أساعدك

-طبيب نفسي ...

-درست التشريح في فرنسا لسنتين .. هيا نبدأ ..

أغلق جوزيف الباب وعاد، وقف أمام الجثة قائلا وهو يضم يديه لصدره :

-ماذا تظن إذا ؟؟

فرد إيثين :

-كما قلت أنت .. تبدو لي سرقة أعضاء لا محالة ...

ارتدى كفوفه ووضع يده على الفجوة الكبيرة في البطن قائلا :

-الحيوانات لا تنهش هكذا .. هذه عملية منظمة لا يقوم بها إلّا

بشريٌّ مثلنا .

-وإن كان هذا فعل حيواني فهيت لنا قد هلكنا حتما

تصبّب العرق من جبين إيثين، نظر في عيون جوزيف الحازمة وبدأوا التشريح البدائي ..

مرّت ساعتين حتى خرجا .. لم ينبس جوزيف ببنت كلمة، لكن إيثين وجه سؤاله لإسحق :

-هل من أحد غيرنا هنا ؟؟

-لا .. لا أظن ذلك

التفت جوزيف إلى إسحق قائلا :

-إن كان لا .. فبيننا قاتل حتما !..

نظر الرجال لبعضهم بذهول، مسح إسحق عرقه وقال :

-هل يعقل !!

سأل جايكوب :

-بماذا تفكر؟؟

-الجبال !!

-ما بها ؟؟

-هل خرج أحدهم؟؟!!

التفت جوزيف إلى إسحق قائلا :

-ماذا وراءها؟؟؟

-أنا لا أدري، لكني أظن أنني رأيت أحدهم مرة

-من هم ؟

-انظروا .. اجلسوا أو ندفن سيمون أولا ثم أخبركم لتفكروا معي ..

قال إيثين :

-حسنا ..

-يا رجال، لا تخبروا كريستين أرجوكم، كفاها ما حدث لها "قال دانييل"

فأجابه جوزيف على الفور :

-بل نخبرها، بيننا قاتل .. أنا لست مقتنعا بقصة الجبال هذه، جميع من كان في الجزيرة متهم حتى كريستين نفسها

علا صوت آدم ورفع يده ملوحا بها بغضب

-ماذا تقول؟؟؟

لكن إيثين أمسكه :

-السيد جوزيف لا يقصد، إنه يتحدث بطريقة علمية بحتة، جميعنا خائفون ومرتبكون الآن، دعونا ندفن سيمون ثم نجتمع في الكوخ لنفكّر ..

-حسنا "قال دانييل بصوت متحشرج"

اجتمع الجميع في الساحة الخلفية للكوخ، عندما بدأت الشمس بالأفول، كانت كريستين تضع شرشفا على جسدها وتستند على دانييل الذي حاوطها بذراعيّه، أما فانتيلا، فقد بدت مترددة، حزينة، وخائفة، وكانت تجلس بجانب آدم قبالتهم، وكانت ديلونا تجلس بجوار كساندرا وريتا، اللواتي بدون بغاية أسفهنّ على كريستين، وبغاية خوفهنّ من هذا الاجتماعالذي لا يبشّر بالخير، جلس الطبيب جوزيف على رأس الدائرة البشرية، بجوار إيثين، وجلس جايكوب وإسحق قبالتهم، كانت النار المشتعلة في المنتصف تعكس على وجوه الجميع اللون البرتقالي الحزين، بدأ جوزيف بالحديث :

-أنصتوا جيدا، لقد جمعناكم جميعا لأن الكارثة التي حلّت علينا جميعا بلا استثناء من الممكن أن تتكرّر، لقد تمّ قتل سيمون وسرقة أعضائه ..

-ماذا ؟؟؟؟؟ "قالت كريستين رافعة رأسها إلى دانييل "

فاحتضنها دانييل وطبع قبلة على جبينها وهمس في أذنها :

-لن يذهب دمه سدىً أعدك يا كريستين ..

أكمل جوزيف :

-لقد شرّحنا أنا وإيثين الجثة مبدئيا، وقد اتضح أن سبب الوفاة الأساسي كان الخنق، لقد تم خنق الضحية وسرقة أعضاءه.

-إذا؟؟؟ " تساءلت كساندرا وهي تزدرد ريقها "

-إذا بيننا قاتل .. إما بيننا في هذه الدائرة، أو على أرض هذه الجزيرة.

نظر الجميع إلى وجوه بعضهم مذعورين، بينما تركزت عيون كريستين الغاضبة والمنتفخة والحمراء على آدم الذي لم يفهم لماذا كانت ترمقه بغضب شديد وكأنه قتل أمها، أكمل جوزيف :

-هل لدى أحدكم أية شكوك ؟؟

نظر دانييل إلى فانتيلا بحزم، وأخذ يفكر لكنه سرعان ما طرد أفكاره من رأسه ومسح وجهه بيده، أكمل جوزيف :

-هل من شكوك ساعدونا أرجوكم.

قال إيثين وهو ينظر لوجوه الجميع بحزم :

-يا سيد جوزيف لا أظن أن أحدا منّا قاتلا ..

-ماذا تظن إذا ؟؟

-الجبال.

-هل تعلم ما وراءها ؟؟؟ "سألت فانتيلا بذهول، وقد فتحت فاهها مصدومة "

-لا، لكن ربما إسحق يعرف.

قلع إسحق نظارته ومسح عرقه قائلا :

-ربما أعرف، لكن .. أنا اقترح أن نمشّط الجزيرة في البداية، ربما ثمة قراصنة وصلوا دون أن أدرك، إن كانت الجزيرة خالية إلّا منا وقتها فقط نعود لنظرية الجبال ونذهب للسد، إن كان لا زال مسدودا إذا حتما أحدنا فعلها !!

قال جايكوب :

-وأنا أوافقه ..

نظر جوزيف إليهم وقد بدا عليه الجزم وقال :

-كم نحتاج وقتاً لنمشّط الجّزيرة بأكملها ؟؟

-إحدى عشر يوما ...

-إذا لنبدأ الآن .. من لديه اعتراض ؟؟؟ نظر جوزيف إلى الوجوه الخائفة المرتبكة ..

هيا لنبدأ العمل يا رفاق .. يا إسحق ابدأ بوضع الخريطة ووزعنا، سيسير كلّ ثلاثة معاً، ثلاثة في الشمال .. ثلاثة في الجنوب .. ثلاثة في الشرق، واثنين في الغرب، هيا وزعوا أنفسكم لمجموعات ..

قال اسحق:

-سأسير أنا مع كريستين ودانييل.

أنزل جوزيف رأسه موافقا، اقترب إسحق من دانييل وكريستين، وربت على كتفهم قائلا :

-سأكون معكم يا رفاق .

ودخل داخل الكوخ ..

قامت ديلونا وقالت :

-سنسير نحن معا "مشيرة إلى الفتيات"

قال جوزيف :

-لا .. ستحتجن إلى الحماية، توزعوا .. ستسير ديلونا مع جايكوب، وتسير ريتا معي، وكساندرا ستذهب مع إيثين.

عاد إسحق بعد دقائق قائلا :

-هذه الخرائط الأربعة، سنجتمع كل مساء في بيتي، نتناول

الطعام ونتناقش فيما وجدنا، ثم ننام ونتحرك في الصباح أضمن لنا، سنعيد تغيير الأماكن كل يوم ..

قال جوزيف :

-حسنا إذا الليلة نتحرك أنا وريتا.

قاطعه إسحق :

-لا، نتحرك غدا، سيحلّ الظلام قريبا، ادخلوا الآن لأعرفكم على طرق الجزيرة، ونضع خطّة محكمة للغاية.

دخل الجميع للكوخ، بدأ إسحق يوزع المهام عليهم، فقال دانييل :

-لماذا لا نذهب معا؟؟

-كيف؟؟

-انظرا، نحن إحدى عشر شخصا، يتحرك كل يوم ثمانية أشخاص ويبقى ثلاثة ليحرسوا الكوخ.

قالت فانتيلا :

-لماذا لا نذهب مباشرة للسدّ بجوار الجبال ثم نمشّط الجزيرة بعدها ..

أجاب إيثين :

-لا علينا أن نتأكد من خلوّ الجّزيرة من اي أحد في البداية.

فردّ جوزيف :

-إذا نمشّط الشواطئ فقط .. لا طريق بريٍّ يوصل للجزيرة، جميع الطرق بحرية، وإن كان ثمة شخص دخل هنا فسنجد قاربه أو سفينته ..

حكّ إسحق رأسه ورفع إصبعه قائلا :

-فكرة عظيمة، وبهذا ستنتهي المهمة في يومين أو ثلاثة.

-اتفقنا إذا ..

خرج إسحق وجلس قبالة النار خلف الكوخ، فتبعته فانتيلا وجلست قبالته ..

-آسفة يا سيد إسحق، لكنّ رحلتي كانت من أجلك ..

-من أجلي أنا ؟؟؟

-أجل .. إني أعمل على كتاب عن حياتك .. وأريد منك أن تخبرني بسرّك.

ضحك إسحق وقال :

-أيُّ سرٍّ يا سيدة؟؟

-كيف تعيش هنا، ولماذا، وماذا وراء الجبال؟؟

-أمّا السؤال الأول فسأجيبك على شقّه الأول، فإني أعيش هنا منذ عشرين عاما وقد اعتدت، أما الثاني فلا أحد يعلم ..

-لاشيء؟؟؟

-ربما أعلم القليل فقط.

-مثل ماذا ؟

-حضّري لنا كوبين من القهوة وسأخبرك بما أعلم .. أيتها الفضولية.

قامت فانتيلا كالطفلة الموعودة بنزهة :

-حالا .. حالا .. فرحة وتكاد تطير.

وما هي إلا دقائق حتى عادت غلى إسحق مرة أخرى ...

-تفضّل.

-شكرا لكِ ..

-العفو.

جلست قبالته، وأمسكت قلمها ودفترها، وأخذت تنظر إلى وجهه بحماسة، نظر إلى الدفتر بين يديها ضحك وقال :

-لا أظن أنك بحاجته، ما سأخبرك به لن تنسيه أبدا ..

نظرت إلى الدفتر ببلاهة، تركته وركّزت نظرها إلى وجهه وعينيه..

ارتشف القهوة ونظر للسماء، ثم أنزل نظره إلى وجه فانتيلا، وعقد حاجبيه قائلا :

-طوال العشر سنوات الأولى لي على هذه الأرض .. كنت غير مؤمن بما وراء الجبال، كنت قد بنيت بيتا آخرا لي بجوارها، ورحت أراقبها كل يوم بفضول، رأيت وحيد القرن الأبيض ينطحها بقرنه بغضب، ورأيت البعوض المضيء يلحق بالقطط المفترسة بعنفوان، لقد رأيت العجائب بجانبها، لكنّي كنت كلّما حفرت قليلا ردمت الفجوة نفسها في تمام الساعة الثانية عشر منتصف الليل، لقد حاولت الحفر مرة ليومين متتالين وقد تعمّقت بالحفر جيدا، حتى أكل الجبل الفأس أمامي وردم نفسه مرة أخرى ..

فتحت فانتيلا عينيها بذهول قائلة :

-كيف .. كيف أكل الفأس؟؟؟؟؟

-هال التراب والصخور وكُسر الفأس وابتُلِع داخل الجبل، إلى أن توقفت عن المحاولة في ليلة صيفية هادئة، بعد أن كنت أنظر من نافذة الكوخ إلى السماء وسرعان ما تراءى لي على قمة الجبل شخص لا يتجاوز طوله النصف متر، أغلقت عيوني عدّة مرّات وسمعت صوت ضحكه عاليا وكأنه يخترق السماء، كان صوتا مخيفا ليس كأصوات البشر لا زال يرنّ بأذني لوقتنا هذا، خفت وقتها كثيرا وارتعبت لما التفت إليّ وركّز عيونه على عيوني وصرخ بصوت عالٍ، وبلحظة واحدة تلبّدت السماء بالغيوم وسار ريح عالي رمى الوحش للوراء و حملني وارتطمت بالجبل واقتلع كوخي الصغير وبعض الأشجار .. وبلحظة واحدة عاد الهدوء، كان أشبه بحلم ما، كابوس لعين، لكنّ كسر ذراعي واقتلاع الكوخ أثبت لي أن ما رأيته ليس كابوسا أو جنون، إنه حقيقة قطعية، إنهم موجودون يا سيدة، مخيفون ويبدو أنهم ممنوعون من اختراق الجبل، لقد توصلّت خلال العشرين عاما ها هنا إلى نظرية ما.

-ما هي ؟؟ "قالت فانتيلا بذهول وتسرّع بالعيّن"

-ربما أثار هؤلاء أمرا كارثياً على هذه الأرض فحلّت لعنة منعتهم من اختراق الجبل، الله وحده يعلم أيّ حياة تعيش خلف الجبال، وأي نوع من الكائنات هناك كذلك، لذلك توقفت عن

الحفر ومحاولة تسلّق الجبل من يومها.

نظرت فانتيلا إلى عيونه بحماس وسألت :

–ما الذي يدفعك للعيش هنا، ما الذي دفعك في البداية ..

–إيبيه إنها قصة طويلة للغاية، أحكيها لكِ فيما بعد ..

–لكن...

–فيما بعد "وقام".

تبعته فانتيلا قائلة :

–آخر سؤال أرجوك..

التفت لها قائلا :

–تفضلي ..

–هل حقا تجلس هنا لحماية الطيور ..

لمع سنّه أسفل ضوء القمر :

–بلا أدنى شك ...

فانتيلا ..

فتحتُ عيوني بعد نوم عميق، كان الظلام لا زال يحل على كل شيء، صوت شخير آدم خفّ قليلا، ودانييل برائحته الزكية يغفو بجانبي، وقد رفع يديه فوق رأسه مستسلما، أخذت أتساءل أيّ حلم بوليسي يزوره يا ترى .. كان الفانوس المعلّق في زاوية الغرفة يتيح لي رؤية القليل من الوجوه النائمة، ويتيح لي رؤية قدماي، أيقظتني مثانتي من النوم، هذه الكتلة الصغيرة الموجودة داخل جسدي طالما أفسدت علي لحظاتي، وإحدى أهم جرائمها معي ليلتي الأولى مع أنطوانيت، ههههه... أنطوانيت .

نزلت من السرير وتوجهت للحمام، هذه الذكريات التي تنهال علي مرة واحدة كما انهالت علي قبلات ذلك المجنون الطائش .. كانت ليلة هادئة في إحدى ليالي أغسطس الحارّة، تسلّل أنطوانيت فيها إلى غرفتي ليأخذ كتبه وحقيبته المدرسية التي تركها في غرفتي وخرجنا يومها للتسكع كالمراهقين، لم نعد لبعد منتصف الليل، يا الهي لو رأت أمي أحمر الشفاه الذي كنت أضعه وقتها واللبان الذي كنت أمضغه لزوجتني ليلتها لابن أختها إلياس لا محالة، ولرددت جملتها الشهيرة : " لقد صرت امرأة جاهزة للزواج إذا.."،

لكن خطتنا أنا وأنطوانيت باءت بالفشل، لقد طلبت منه وقتها أن يدير لي ظهره، خلعت فستاني فالتفت إلي بعيونه الخبيثة وانقضّ علي بقبلاته، كنت أضحك محاولة إبعاده، لم أكن خائفة منه فقد كان أنطوانيت .. مما أخاف !، همست في أذنه ليلتها "توقف هناك أمر خطير للغاية عليّ إخبارك به"، أبعد رأسه عن عنقي وقد بدا متصببا بالعرق وقال بجدية "ما هو؟؟"، أنطوانيت .."أنطوانيت، نداء الطبيعة "، لا أنسى وجهه ليلتها وقد بدا كفطيرة المشمش المجنونة، حقا كنت أعنيها، هذه المثانة اللعينة أيقظتني الليلة من نومي الهانئ، وأيقظت أنطوانيت في الماضي من انجرافه المجنون، رفعت سروالي وخرجت وأنا أضحك .. لقد أيقظتني ذكريات أنطوانيت من نعاسي الشديد، قررت أن أصنع لي كوبا من القهوة، خرجت من الغرفة بهدوء ودلفت إلى المطبخ، سمعت أصواتا في الخارج فنظرت من النافذة، كان السيد إسحق يجلس مع السيد إثيين والطبيب جوزيف وجايكوب، ترى ما الذي أيقظهم من نومهم هؤلاء ! صنعت القهوة وخرجت لهم، ارتبكوا لما رأوني غير أنهم رحبوا بي .

***

-كم الساعة الآن يا سيد جايكوب؟

-لقد شارف الفجر على البزوغ ..

-لماذا لم تناموا؟

-نحن نفكر..

-في ماذا؟

-اذهبي للنوم يا فانتيلا "قال إيثين بحدة"

كان يتصبب عرقا، خلف نظارته وبدا مشغولا فيها .. قال جوزيف:

-لا لن تذهب، سيعلم الجميع على أية حال.

-نعلم ماذا ؟؟

-تعلمون أن .. أن ..

-أنه ماذا؟؟؟

-لقد هربت ديلونا وريتا.

-ماذا تقول؟؟؟؟

اتسعت حدقتا فانتيلا وهي تحدق في إيثين .. فقال جوزيف:

-لا نعلم إن كنّ هربن أم اختطفن حتى ..

جلست فانتيلا غير مصدقة لما تسمعه ..

-كيف أين ومتى ؟؟؟

-حسنا .. عندما يبدأ الفجر بالبزوغ سنوقظ الجميع، سنتحرك معا للبحث عنهما ثم عندما نعود نستجوب الجميع ..

وضعت فانتيلا يدها على رأسها غير مصدقة لما تسمعه ..

***

دخل جايكوب الكوخ وأيقظ جميع من فيه، وطلب منهم الخروج لكي يجتمعوا معا في الباحة الخلفية، فرك دانييل عيونه وأخذ يحك شعره، خرج من الغرفة وتبعه آدم، ثم تبعهما الجميع ..

-اكتمل العدد يا إيثين.

جلست كريستين بجوار دانييل وقالت بتثاقل :

-ماذا حدث ؟

وقف الدكتور جوزيف أمام الجميع وقال بصوت غاضب وكأنه يتهم الجميع :

-ليلة البارحة اختفت ديلونا وريتا.

-ماذا؟؟؟؟ "صرخت كريستين بصوت عال

-أجل .

أدار الجميع عيونهم، ارتجفت العيون واحتدت النظرات أكثر، يبدو أن القاتل لن يهدأ له بال حتى يجهز على الجميع ..

-هيا تجمعوا هيا، سنذهب لنبحث عنهم، وعندما نعود سنحقق في الأمر.

قالها جوزيف .

أغلق جايكوب الكوخ جيدا وسار آخرهم، سارت كريستين إلى جوار دانييل الذي حاوطها بذراعه، وسارت فانتيلا إلى جوار آدم، كانت تسرع خطاها وعيونها مرتكزة على ظهر إسحق، وكان جوزيف يسير أولهم هو وإسحق، أمّا كساندرا فقد أمسكت بيد إيثين وهي ترتجف، ودموعها ما هدأت لحظة .. بدأ جوزيف ينادي:

-ديلونا .. ريتا.

نظر وراءه وقال:

-لا تتوقفوا عن المناداة، علينا أن نجدهم لا مجال لذلك ..

صرخ الجميع بصوت واحد :

-ديلونا .. ريتاا .. ديلوناا ..

كانت الغابة تمتصّ الأصوات وتبتلعها وكأن أحدا لا ينادي .

أخذت فانتيلا تدير عيونها على الجزيرة، طالما خافت من المجهول وحاولت كسره، طالما حاولت كسر خوفها بمواجهته، ربما لهذا اختارت هذه الجزيرة بالتحديد، كانت الأشجار المتشابكة تربك القلوب بحفيفها كلما مالت أغصانها، وكانت أشعة الشمس تتسلل بهدوء بين الفروع والأغصان وتسقط على الوجوه الخائفة والمترددة، قال إسحق لجوزيف الذي ما هدأت حباله الصوتية عن المناداة :

-نذهب للغابة الغربية أولا؟؟

قال جوزيف :

-حسنا .. "دون أن يلتفت لوجه إسحق حتى"

لكن إيثين تجاوز الجموع ووصل لإسحق وجوزيف قائلا :

-لماذا لا نمشط الشواطئ أولا ؟؟

أومأ جوزيف برأسه وقال موجها نظره لإسحق :

-وجهنا لأقرب شاطئ من هنا ..

سار إسحق أولهم ومشى لليسار فتبعه الجميع .

تذكرت كريستين هذه اللحظات جيدا، كانت تشعر بالوخز،

الوخز اللعين، وكأن أحدا يمسك خنجرا ويطعن روحها كلما اقتربوا من الشاطئ، اقتربت فانتيلا من إسحق قائلة :

-أين الحيوانات ؟ يبدو أن الجزيرة خالية حقا !!

-ههههه ما أدراك أنتِ ؟؟ إنه الدم الأصفر يا آنسة

-ماذا ؟؟

-اشرح لك هذا الأمر فيما بعد .

أومأت برأسها وعادت لآدم .

كانت الشمس تزداد حرارة ويزداد الظمأ والتعب لدى الجميع، بدأت مساحة البحر تبان شيئا فشيئا من خلف الأشجار، كان البحر يقترب رويدا رويدا من عيون الجميع، ولما وصلوا الشاطئ تجمّدت كريستين من مكانها، سال ماؤها على فخذيها، ارتطمت ركبتاها ببعضهما، توقف الزمن عندها، أشارت للشاطئ وصرخت :

-سيموووووون

ثم غابت عن الوعي .

التفت الجميع لها إلّا جوزيف الذي واصل السير إلى أن بلل الماء ركبتيه، كان يبدو غاضبا وكأن الدنيا انقلبت رأسا على عقب، سار

في الماء، غاص فيه، ضرب المياه بيديه، مسح دموعه، وعاد للشاطئ، كان يسير برعونة يركض ويهدأ لحظات ثم يواصل السير، سار وراءه إسحق وجايكوب، وتوقف الجميع في مكانهم، لكن شيئا لم يبدو لهم، عادوا مرة أخرى، قال جوزيف بصوت مرتجف :

-سيروا ورائي .

حمل دانييل كريستين وسار الجميع وراءه وراحوا ينظرون لزرقة البحر مرة وللجزيرة وما فيها مرة أخرى، ساروا قرابة الساعتين إلى أن وصلوا رقعة من المياه تظهر وراءها صخرة مدورة، دخل جورج الماء، كان ثمة ما يطفو على الماء، جسد أنثوي الملامح لا وجه له، أدار جوزيف هذا الجسد، سالت دمعة باردة على خده، ارتعدت أوصاله، التفت للوراء صارخا :

- إنها ريتاااا تعالوا تعالوا ريتاا يا الهي ...

بدأ هذا السبعيني يبكي كالأطفال، أجهش بالبكاء، ركض إيثين وآدم وإسحق نحو جوزيف، لكن جايكوب ركض أعمق مما يجب، كان ثمة حمامات رمادية تطير من خلف الصخرة، أشار لها إسحق قائلا :

-جايكوب .. هناك ..

دخل جايكوب عمق الماء، سبح نحو الصخرة، ولما دار خلفها، صرخ صرخة أفزعت كل الواقفين والجالسين، قبل أن يمضي عدة دقائق من الذهول ويعود جارا ديلونا .. أو بالأصح بقايا ديلونا .. سقطت كساندرا على ركبتيها، صرخ جوزيف :

-لا .. لاااا يجب أن نتصرف، لا يمكن، يا الهي لا يعقل أرجوكم ساعدوني.

"وراح يتلفت لمن حوله ليساعدوه، كان مادا يديه أمامه وكأنه يستجدي شيئا ما، كان يهذي كالثكلى، بدا وجهه المجعّد وكأنه يذوب، نظرت فانتيلا لهم وقالت بصوت مرتجف :

-لنعود .. لنعود.

لكن صوتها لم يصل أذن كريستين التي بجوارها ..

قال إيثين مشيرا للبحر :

-هناك زجاجة ..

ركض جايكوب للزجاجة الخضراء وأحضرها،

-رسالة؟؟؟ "تساءل آدم"

-لنفتحها في الكوخ.

لكن جوزيف تجاهل كلام إيثين وسحبها من يد جايكوب وفتحت وهو يرتجف، غير أن إيثين سحبها من يده بسرعة وخبأها في جيبه وقال :

-المكان لم يعد آمنا، لنصل لبيت إسحق أولا ثم نرى.

أومأ جوزيف برأسه وسار بتثاقل كمن يجر الدنيا وراء ظهره، حمل آدم جثة ديلونا وحمل إيثين جثة ريتا، لم يصدق آدم أنه يحمل بين يديّه شخصا لا روح فيه، كان يرتجف وهو يرمي بصره خفية إلى هذه الجثة التي خطف الماء لونها، لما وصلوا بيت إسحق قال جوزيف :

-ضعوا فتياتي في الأعلى واجلسوا جميعا هنا، لن نرتاح سنبدأ التحقيق حالا.

-ريثك يا سيد جوزيف دعنا نقرأ ما كتب أولاً.

نظر جوزيف بحدة إلى كل هذه الوجوه المتباينة، كانت كريستين تحتضن يد الأريكة وتصرّ على أسنانها مرتجفة، نزل إيثين وآدم، جلس آدم بجوار كريستين وراح يمسح دموعه، قال إيثين :

-يا سيد جوزيف علينا النظر في أمر الجثتين.

جلس جوزيف ومدّ يده إلى إسحق قائلا :

-هات الرسالة.

مدّ إيثين يده إلى جيب المعطف :

-تفضل.

ارتدى جوزيف نظارته وبدأ القراءة :

"الحياة هنا لم تعد تطاق، نحن خائفات، مرتجفات، ويبدو أنه ليس ثمة سبيل للعودة كما قال لنا جايكوب ليلة تحطّم القارب، لقد قررنا الموت بسلام بدلا من ترك الحيوانات تأكلنا .. الوداع .

التوقيع : ديلونا وريتا.

* ملاحظة : عزيزي جوزيف سامحنا، لقد أخبرنا كساندرا ولم تصدقنا الوداع"

علا صوت نحيب كساندرا، لطمت على وجهها قائلة :

-كاذبات لم يقلن، لا، لم يقلن ذلك ..

نظر إيثين إلى الوجوه بتمعن، صرخ فجأة :

-كاذبة

نظرت كساندرا إلى عيونه وهي ترتجف، تحولت العيون إلى إيثين، قال جوزيف :

-ماذا تقصد

-إنها تكذب يا سيد جوزيف، دعني أتولى المهمة وانصتوا جميعا وقبل أن تنصتوا اصعد يا جوزيف إلى الجثتين وتفحصهما، ثمة آثار خنق على عنقهما وآثار شجار وشخط.

صعد جوزيف إلى الأعلى والتفت إيثين إلى كساندرا قائلا :

-أنتِ تكذبين.

-ما أدراك أنت ؟؟

-أنا طبيب نفسي، باستطاعتي أن أشتمّ الكاذب على بعد بلدين، اعترفي الآن "علا صوته أكثر" اعترفي كيف قتلتهما؟؟؟

حملقت كساندرا في وجهه، وجحظت عينيها ثم انقضّت عليه مرة واحدة :

-أيها اللعين الحقير، هل سأقتل صديقتيّ ؟؟؟؟ أنت مريض .. مرييييض.

أبعدها آدم عن جسد إيثين وأجلسها على الأريكة، قال دانييل :

-هذه ليست طريقة جيدة في التحقيق يا سيد إيثين.

-ماذا هل عليه تقبيلها من شفتيها وأن يطلب منها الاعتراف

بهدوء؟؟؟

-اخرس يا إسحق أرجوك اخرس "قال دانييل وهو ينظر في عيون إسحق المتصبّب بالعرق"،كانت عيونه تقدح شرارا وشعره يتطاير من الخوف والغضب، خلع نظارته الدائرية ورفع إصبعه مهددا دانييل :

-بل اخرس أنت.

جلس دانييل دون أن يبدي أية ردة فعل .

قال إيثين :

-إنهما لم تنتحرا، ثم إن كنّ أخبرنها حسبما كتبن في الرسالة لماذا لم تبلغنا ؟؟ لماذا صُدمت عندما أخبرناها عن اختفائهما ؟؟

ازدردت كساندرا ريقها، قالت فانتيلا :

-حقا إنه صادق، لماذا صدمت إن كانت على دراية مسبقة ؟؟

تصببت جبهت كساندرا عرقا ثم قالت :

-لا أعلم إنهنّ كاذبات لعينات.

قال آدم وقد ابتعد عنها ووقف أمامها مهددا إياها :

-كاذبة بل تعلمين لقد سمعتك منتصف الليل تسعلين وتبكين

وأنت تتسللين إلى فراشك.

-أيها المعتوه كنت أقضي حاجتي وأبكي على وجودي هنا، أيها المريض سحقا لكم إنهن صديقاتي الوحيدات هل سأقتلهنّ؟؟؟

قال جايكوب:

-إذا أجيبي على الاسئلة دون تزييف يا كساندرا، نحن نبحث عن القاتل وحياتنا مهددة.

نظرت إليه بعيونها المليئة بالدموع وقالت بصوت خافت :

-حسنا سأجيب .

سأل إيثين :

-هل انتحرت صديقاتك ؟

-لا أردي لم أكن معهما.

-أين كنتِ؟

-كنت نائمة .

نزل جوزيف على الدرج الخشبي، اقترب من إيثين، جلس على الأريكة وراءه، كان صوت أنفاسه عاليا وكأنه عاد من معركة حاسمة، سأله إيثين :

-إذا؟؟؟؟

-لا أدري، إنه نفس القاتل .

ارتعدت أوصال كريستين، أكمل جوزيف :

-لقد ترك القاتل علامة على ذراع سيمون في المرة الماضية، لكني لم آخذ بها، لأنها لم تكن مفيدة في وقتها، الآن وقد تكررت نفس العلامة على الجثتين الجديدتين فإن القاتل واحد منا لا محالة ...

-أتقصد الدائرة السوداء ؟؟ "سأل إيثين"

-أجل ذاتها .

رفع جوزيف نظره إلى كساندرا قائلا :

-الآن يا كساندرا أخبريني لماذا قتلتهما؟؟

-حتى أنت يا جوزيف ؟؟ حتى أنت ؟؟؟

قالتها بنبرة معاتبة وأخفت وجهها بين يديها وعلا صوت بكائها.

-إنك متهمة يا كساندرا، سنضطر لحجزك في القبو لدينا لحين اكتمال الأدلة الكافية، أو دليل براءتك .

أخذ جايكوب كساندرا وعاد بعد قليل، قالت فانتيلا :

-لكن لماذا قد تقتل كساندرا سيمون؟

نظرت إلى كريستين، قالت كريستين :

-لم تقتله كساندرا، لقد قتله أحد الرجال، لا يوجد فتاة قادرة على اقتلاع أحشاء رجل بهذه الطريقة، إنها مهمة طبيب ما .. أو طبيب وصديق

ورمقت آدم وجوزيف باستحقار ..

قال جوزيف بغضب :

-هل تتهميننا إذا ؟؟

-أجل أتهمكم .. "وقفت وقد احمرّ وجهها غضبا " انتم الأقدر على قتله والآن أخبرني ها، كيف ستتمكن كساندرا المسكينة من قتل الفتاتين ؟؟ أتذكر أنك اتهمتني بقتل حبيبي كذلك !! كيف ستتمكن كساندرا من قتل الفتاتين أخبرني ؟؟ أم أنك اتهمتها لتبعد الشبهة عن نفسك ؟؟

-الغدر .. ألم تسمعي به يا سيدة برتقالة؟؟

عقد حاجبيه حتى بانت عقدة الغضب السلوفانية

-أنت الأدرى بالجرائم.

صرخ آدم :

-كريستين اصمتي الآن ودعينا لا نطلق الأحكام بسرعة.

-لو كانت فانتيلا التي قُتِلت لما قلت ذلك يا سيد آدم.

وقفت فانتيلا :

-كريستيييين!!!

-اخرسي أنت يا فانتيلا، ما همك أنت إن مات سيمون أو مت أنا أو مات آدم ودانييل، كل ما يهمك نفسك والكتاب والمجد، أنت أنانية أنانيةةةة همك الوحيد إسحق .

راحت تلوح بيديها عاليا، كانت تبدو كمن فقد عقله، لكن ..

مرةً أخرى عرّت كريستين فانتيلا أمام نفسها وأمام الجميع، ومرة أخرى ابتلعت فانتيلا هذه الحقيقة، وجلست مخذولة دون حراك، لكن دانييل أبى أن يسكت فوقف في وجه كريستين قائلا :

-وأنتِ يا كريستين أكبر أنانية، أنت لا تهتمين لوقع كلامك على الغير، المهم أن يشعر الجميع معك وأن نبكي لحالك، انك تحبين لعب دور الضحية تحبين أن تبدين مثيرة للشفقة وهذا أمر مشمئز بحق ...

جلست كريستين وقد غار فكرها مرة أخرى وكأنها عادت لدوّامتها .

عاددانييل إلى جوار فانتيلا التي ظلّت تنظر إليه بذلك البريق الهادئ، من كان يظن أن هذا الرجل المهمل بعد كاميليا قد يبدو فاتنا في عيون فانتيلا وهو يقتص لها، وتساءل في نفسه عن سبب صراخه في وجه كريستين، وتساءلت فانتيلا في نفسها عن قلبها الذي ما رقّ بعد أنطوانيت، لكنّ شيئا آخر لاح في الأفق، قطع حبل افكارهم جايكوب الذي قال :

-اذهبوا واستريحوا في الغرف، سأصنع الحساء وأناديكم.

وقف إسحق مادّا يده قائلا :

-تفضلوا.. سينام كل اثنين في غرفة.

دخلت فانتيلا ودانييل الغرفة الأولى، كان ثمة سرير واحد في الغرفة، أغلق دانييل الباب وتوجه إلى النافذة، فتحها واتكئ عليها ثم قال:

-بدّلي ملابسك إن أردت يا فانتيلا.

ضحكت فانتيلا قائلة :

-ألن تنظر؟؟

ابتسم دانييل :

-لا أعدك.

-كن شهما كأنطوانيت يا دانييل.

ابتسم دانييل ببلاهة دون أن يفهم ما ترمي إليه، كانت تتمنى أن يكون شهما كأنطوانيت الذي استدار لمّا خلعت ملابسها، لكنّ دانييل لم يكن مهذبا وظلّ ينظر للسماء، إنّ فانتيلا من النساء اللواتي يحببن الرجل الشهم بمعناها الملتوي، ولعل أغلب النساء ينجذبن له، تولد الفتاة في سلوفينيا وهي تحلم بمفتول العضلات الذي يقلب الدنيا لو بان جزء من فخذها في الشارع، ثم ما يلبث أن يكشف الجزء بنفسه في سيارة الأجرة وهو ينظر بخفة، بعطر قوي وعلكة وقميص أسود اللون مفتوحٌ زره الأول، رجل شهم يريدها كلما رآها ويعزمها على حفل غجري تحت الملاءة، ثم ما إن ينتهي الحفل حتى يدعوها إلى عشاء رومانسي على الأريكة لتستيقظ وقد أنجبت منه ستون ولدا شهما كوالدهم،هذا النوع من الشهامة الملفتة، المتغطرس الوقح ذو النظرة الحادة يؤرق نوم فتيات المدينة بكاملها، ثم ما تلبث أن تستيقظ على الصدمة لتكتشف أنها

تزوجت رجلا شهما حقا! بكرش متدلٍ وقلب حنون، يعزمها على حفلة لمغن مشهور خارج الأزقة ويدعوها لعشاء فرنسي فاخر .. كانت تحلم بالنوع الملتوي من الشهامة!!...

-هل سرحت مرة أخرى؟

ابتسمت له :

-شكرا يا دانييل، أنت شهم حقا.

-ألأني لم أنظر لك وأنت تقلعين؟ لقد استرقت النظر أصلا.

-ههه لهذا أنت شهم، لا أنت تعلم ما أقصد.

-آه، أمن أجل ما قلته لكريستين ؟

-أجل، لم ينصفني أحد بعد أنطوانيت .

-لم أنصف أحدا بعد كاميليا ..

التفت لها بعيونه المليئة، ثم غادر مرة أخرى للسماء، سارت فانتيلا إليه، وضعت يدها على ظهره مطبطبة ..

-أتبكي يا دانييل؟

-أنا أذوب .. لقد أكلتني الحياة يا فانتيلا.

شعرت فانتيلا بعجز هذا العملاق، هذا الجبل الذي كان واقفا يصرخ في وجه كريستين وقد انهار فجأة، كيف يعرّي الإنسان نفسه أمام من يرتاح لهم أو يحبهم، أمسكت فانتيلا يد دانييل وأجلسته على السرير وجلست قبالته على ركبتيها وأخذت تمسح على فخذيه..

-أحاول أن أنسى يا فانتيلا، لكن كل شيء يذكرني بها، كل الأشياء تشبهها، لا أدري إن كنت أبكي عليها أم على نفسي .

-أنت تبكي لأنك عاجز يا دانييل، عاجز عن الوصول لها عاجز عن انعاشها أوح..

-بل عاجز عن الغفران، لقد ماتت بسببي، لقد أمسكها زوجها السكّير وهي تقبلني في أحد الأزقة، وقد انتقم منها شرّ انتقام،

-أعلم ..

-اسمعيني أرجوك، تظاهري أنك لا تعلمين أرجوك يا فانتيلا..

رفع قدميه وتمدد على السرير، تمددت فانتيلا إلى جواره، أردف وهو ينظر للسقف:

-ذلك الزنديق، لقد طلب من صديقه المصاب بالإيدز اغتصابها، وأنا .. ماذا فعلت؟؟ آثرت نفسي عليها وهي تحتضر، لم أعطها الحب، عرضت عليها أن نتشارك المرض والموت لكنها

أقسمت أنها لن تسامحني وستموت غاضبة علي، خفت .. خفت عليها .. أردت لها الخلاص، خفت على نفسي ربما، أنا أناني كذلك، أنا لعين قذر، أنا أكره نفسي يا فانتيلا أكرهها، كانت تحتضر على سريري، عجزت حتى عن تقبيلها، جلّ ما فعلته لها كان الرقص !! رقصت كالمهرجين والحمقى، "مسح دموعه وضحك"، لكنها كانت تضحك، كنت أرتدي لها تنورة خضراء قصيرة وجوارب حمراء طويلة وأبدأ الرقص كالمعاتيه، كانت تضحك بعمق، لم أستطع فعل شيء حيال الأمر، أصبحت مهرجا! ثم لعبت الحياة معي هذا الدور وسرقتها مني.. أنا مؤلم يا فانتيلا..

احتضنت فانتيلا ذراعه وتكوّرت عليه ونامت، كان يحكي وكأنه لم يتكلم منذ حربين وستة عقود، كان يبكي ويضحك ثم يعود لبكائه كالأطفال، وفانتيلا.. هذه الكرة الآدمية التي احتضنت ذراعه وتكورت عليه جعلته يشعر بالأمان وهو يغوص في الذكريات، قلّب صوت شخيرها عليه المواجع، طالما احتضنت كاميليا ذراعه وشخرت .. بدت فانتيلا له ككرة الصوف الآدمية الصغيرة، وبدا لنفسه كالقط البرتقالي النحيل، طالما كان الفأر في جميع الأدوار، طالما انقضت عليه الحياة والذكريات بمخالبها وهشّمته، لكنه .. هذه المرة ! شعر أنه القط لا الضحية، وراح ينظر

لها وهي نائمة وقد استسلمت متمسّكة بيده وكأنها آخر سلاح لها.. وضع رأسه على الوسادة وأغمض عينيه، الآن وقد بدا له وجه كاميليا كاملا دون نقصان.. أزاح وجه فانتيلا اللوحات في خياله.. وغاب في ملكوت..

***

استيقظ دانييل على صوت قرع جايكوب الباب ..

خرج الجميع من غرفهم وجلسوا في غرفة الاستقبال، بدء جايكوب بتوزيع الأطباق، تناول الجميع حصته من الطعام بصمت مطبق، وجلسوا لتبدأ المناقشة ..

-وقف جوزيف قائلا :

-نحن نشك في كساندرا، لكنّ هذا لا يعني أنها القاتلة، علينا جميعنا العمل معا لنجد الأدلة الكافية لإدانتها .. أو دليل براءتها.

قال آدم :

-أنا أشك فيها كذلك .. لقد رأيت آثار خرمشات على يديها عندما أبعدتها عن إيثين، أشك انها تشاجرت معهن ورمتهن في البحر.

-لا أعتقد ذلك "قال إيثين وهو يدور في الغرفة مكثف اليدين " إنها لن تقدر على اثنتين، اعتقد أنها اتفقت مع إحداهن وغدرت بها بعد أن قتلوا الأولى.

قال جوزيف :

-وما يثبت نظريتك أن هناك فارق زمني في موت الجثتين.

-إذا؟؟؟

تساءل إيثين وهو ينظر بحدة إلى عيون جورج فيما أخفى الآخر وجهه أسفل كفيه.

قال دانييل كاسرا حدة الصمت :

-ماذا لو أنها تشاجرت معهن في محاولة منعهن من الانتحار ؟

قالت كريستين :

-ثم لماذا قد تقتل كساندرا سيمون، إنها بالكاد تعرف اسمه!

رفع جوزيف نظره نحو كريستين قائلا :

-يبدو أن أحدنا يحاول تضليل التحقيق .

-من تقصد؟ "سأل إيثين"

توجه نظر جوزيف إلى إسحق الجالس على الكنبة جلسة غير مرتاحة وقال :

-ماذا تظن أنت يا إسحق؟

وظهرت ابتسامة ماكرة على وجه العجوز جوزيف، توتر إسحق ووقف متجها للنافذة :

-ماذا قلت ؟ لا أدري.. ربما.. ربما يا سيد جوزيف ما أدراني بكم.

-أخبرنا أنت.

-أخبركم بماذا؟؟

-أين كنت وقت وقوع الحادث؟

-لقد كنت... مهلا مهلاً !! هل هناك اتهام موجه لي؟؟؟

-أجل جميعنا متهمون !

رفع إسحق يده غاضبا وقد تطاير شعره :

-جميعكم إلّاي وإلا فاخرجوا من جزيرتي وبيتي.

-هذا هو مربط الفأس.

-ماذا تقصد ؟

وقف جوزيف مقتربا من إسحق قائلا :

-هل فعلت كل هذا لتخرجنا من جزيرتك ؟

-اسمع يا سيد جوزيف أنا لا أسمح لك بتاتا، أنا لا أقتل ضيوفي هل فهمت؟.

التفت جوزيف إلى إيثين قائلا :

-هل فهمتني ؟

مسح إيثين عرقه والتفت إلى إسحق قائلا :

-فهمتك ..

-هل سنفهم نحن كذلك أم ماذا ؟؟؟ "قالت فانتيلا بصوت عالٍ وغاضب"

-أجل ستفهمون ولكن أمهلونا لحظة.

سار جوزيف وإيثين خارج الغرفة، التفت إيثين قائلا:

-سنجري جوارا مهما، ابقوا مكانكم رجاء..

جلس إسحق وبدا عليه التوتر والغضب والخوف، وقف

جايكوب قبالته قائلا:

-أنا متأكد من أنه ليس أنت يا سيدي، لا تلقي لهم بالاً.

صرخ آدم :

-كيف تأكدت؟؟

-أنا أعرف السيد إسحق منذ عشرين عاما، إنه حسّاس بالفطرة ولا يقوى على قتل نملة.

قام دانييل قائلا :

-اهدؤوا يا رفاق، سأصنع القهوة من يريد ؟

لكن أحدا لم يلقِ له بال، دخل المطبخ وعندما عاد كانت كساندرا جالسة بوجهها الشاحب على الكنبة البنية، ويداها مرتخيتان أمام جسدها، كأنها تشكي دون ان تشكي .. تشبه سنابل القمح في ذبولها واصفرارها وهدوئها، ولا تشبه الأحياء في شيء .. جلس دانييل بجوار فانتيلا ورفع لها حاجبه مستفهما ! فحركت رأسها بالنفي .

حزينا كان كل شيء، كئيبا مطفأ واللون البرتقالي المطلي على جدران الغرفة يعكس على الوجوه آثار التعب والحزن والتوتر.

دخل إيثين وجوزيف الغرفة بعد مدة من الزمن، بدأ إيثين الكلام :

-انظروا، إننا الليلة بين يدي الحقيقة، لن يهدأ لنا بال قبل إظهارها، لا نريد المزيد من الضحايا، يا كساندرا سأسألك مرة واحدة فقط وأرجوك كوني صادقة معي .. كساندرا!!

لم تلتفت كساندرا ولم تنبس ببنت شفة، هزها جوزيف، رفعت رأسها بتثاقل، رفعت شعرها عن عينيها :

-أجل ماذا كنت تقول؟

تأفف إيثين ووقف قبالتها :

-الآن سأسألك وأجيبي.

-حسنا ..

-هل أخبرتك صديقاتك بنيتهنّ بالانتحار ؟

-غرغرت عيناها واحمرت جفنيها، بدت غير قادرة على البكاء..

-أجل.

-ماذا قلن بالتحديد؟

-لا شيء، كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، اقتربت

منهنّ وسألتهنّ عما يحدث فقد كانتا تبكيان، لكنهما قالا كلاما لم أصدقه ..

-ماذا قالتا بالتحديد؟

-لا أدري .. نحن ننوي الانتحار لم نعد قادرتان على مواجهة مخاوفنا هنا .. انظر سأخبركم الحقيقة ..

-حسنا قولي إذا .

-لقد.. لقد قالتا أنّ .. لقد .. لقد قالتا أنهن ينوين الرحيل، لم يقلن الانتحار، لا أدري لقد استيقظت على صوت تمتماتهما فخرجت وراءهما، توقفتا عن الشاطئ، سألتهما عما يفعلانه، لم يجبن، وبعد إصرار مني بكيتا وقالتا انهما ينويان الانتحار لكن .. لقد ..لقد قالتا أن إسحق لديه مركبين وقد نوى مساعدتهن، وقد تشاجرت معهما مطوّلا، لقد كتبتا رسالة الانتحار لأن إسحق اقنعهما بهذا الأمر بعدما أفصح لهم أنهم على جزيرة السّنار وأن من يدخلها لا يخرج منها، عندها سمعت وقع أقدام فهربت خائفة دون أن أنظر ورائي، عدت إلى فراشي وأنا أرتجف، ولم اخبركم لأني سأكون المتهمة الأولى، تلبّك لساني لما رأيتهما مقتولتين، لم أعرف ما أفعل، لم أعتقد ذلك .. لقد ..

جحظت عيني إسحق، لم ينبس ببنت شفة ظل يدير رأسه بذهول بين إيثين وكساندرا وجايكوب .. قال إيثين :

-حسنا إذا لقد كتبت الرسالة بخط واحد كما رأينا، وثمة خط وقلم آخرين تم كتابة الملاحظة الأخيرة بهما "وضع يده في جيب معطف وفتح الرسالة ثم أشار بإصبعه لافّا على الجميع وهو يقول :

انظروا ها هنا أجل .. "

*ملاحظة : عزيزي جوزيف سامحنا، لقد أخبرنا كساندرا ولم تصدقنا الوداع"

هل رأيتم ؟؟ إن الخطّ مختلف ولون الحبر مختلف !! إن إسحق يحاول تضليل التحقيق إذا !! يحاول أن يوجه أصابع الاتهام كلها نحو كساندرا ليزيح التهمة عن نفسه .. دافع عن نفسك يا إسحق لماذا أنت صامت؟؟ أم أنك ليس لديك حجة مقنعة؟

ضحك إسحق ضحكة عالية مستَفَزة وكأنه يسخر من كل ما قيل، وقف وهو يصفق بكلتا يديه قائلا :

-أحسنت حقا أنت تصلح لأن تكون مخرجا سينمائيا أو مؤلف روايات فاشل " لكن ضحكته سرعان ما اختفت وظهر على جبينه شريان الغضب، عقد حاجبيه وتوجه نحو الباب، فتح ثم رفع يده

ملوحا وهو يقول":

-الآن جميع من الغرفة غادروا بيتي أسلم لكم.

ردّ إيثين ببرود وهو ينظر في عيون إسحق الذي بدا مجنونا وغاضب :

-وإلّا ماذا ؟؟ ستقتلنا كما قتلت سيمون وريتا وديلونا؟؟؟

-لا لن أقتلكم .. الأرض ستفعل.

-كيف ذلك ؟

-اسمع لا قانون على هذه الأرض، انها أرضي وأنا سيدها، ستغضب عليكم أجمعين، والآن ارحلوا دون عودة لا أريد رؤية أي منكم مهما كان الأمر .. آه صحيح خذوا جثتيّ صديقتكما معكم ..

تعالت صوت التمتمات وازدادت حدة التوتر، قال دانييل :

-نغادر ؟؟ وفي هذه الساعة ؟؟

قالت فانتيلا :

-إن هذه محض فرضيات، لماذا لم تقل كساندرا هذا الكلام منذ البداية ؟

أومأ آدم برأسه قائلا :

-صحيح .. لماذا لا تكون كساندرا قد اختلقت كل هذا لتقحم إسحق في الموضوع؟

هدأت حدة الغضب عند إسحق، ابتعد عن الباب وعاد ليجلس على كنبته .. قال إيثين وهو يزم شفتيه :

-نحن نحقق في الأمر جميعنا متهمون.

رفع إسحق سبابته :

-جميعكم إلّاي !!!

-أرجوك اهدأ الآن ولنركز بحثنا عن القاتل الحقيقي أرجوكم.

تقدم جوزيف من إيثين .. اومأ برأسه قائلا :

-كما توقعنا الإحساس وحده لا يكفي.

أمسك جايكوب كتف إسحق وقال له :

-اهدأ يا سيدي أرجوك ..

مسح إسحق وجهه، راح جايكوب يجيل نظره بين الحاضرين، إلى هذه الوجوه الكثيرة الملوّنة، جلس بجوار آدم، غطّى وجهه بكلتا يديّه، بدا متعبا، غائرا وكأن الدنيا تلعب في رأسه، كان يشعر كجميع من بالغرفة أن أحدا منهم لن ينجو، شعر بحتمية الهلاك

واقتراب الأجل، غاص رأسه بين يديه وارتخى أكثر، كان يسمع صوتا بعيدا ينادي عليه :

-جايكوب .. جايكوب.

وقف إسحق مفزوعا وراح يهزّه، لكن جايكوب لم يستجب، ركض كالمجنون إلى المطبخ وأحضر كوبا من الماء ودلقه على وجهه، ركض جوزيف وإيثين وأبعدا إسحق، خرج من فم جايكوب زبدا أبيض اللون، هزّوه بقوة أكبر، صرخ جوزيف :

-ابتعدوا افتحوا النوافذ .. أحضروا حقيبتي .. مددوه هيا ..

امتثل الجميع لأوامر جوزيف .. باستثناء جايكوب .. الذي ظلّ ممدا على الأرض بجسده الأسود الفتيّ، صرخ جوزيف فجأة وقد اغرورقت عيناه بالدموع :

-لقد فقدناه .. فقدنااااه .. يا الهي ....

-ماذا؟؟؟؟؟؟؟؟ "ازرورق وجه إسحق، سقط على ركبتيه، أخذ يصارع خياله ويهذي " لا لا لا يمكن .. جايكوب .. جايكوووب استيقظ أيها البربري الثرثار أرجوك.

لكنّ جايكوب لم يستيقظ، وجوزيف الطبيب السبعيني الهرم بكى عليه كأنه يبكي على ابنه ! ربما ذكّرته هذه الوفاة بوفاة الفتاتين

أو ربما بكى الجميع خوفا .. انزوى كلٌ في نفسه وابتعد عن الآخر، حمله إيثين إلى الطابق العلوي ونزل مسرعا، قال وهو يمسك ذراع جوزيف ساحبا إياه للأعلى :

-لا .. لا .. لا يتحرك أحد .. ممنوع .. مكانكم ابقوااا.

ثم غاب صوته وهو يصعد الدرجات ممسكا بذراع جوزيف، لم يقوى أحد على رفع نظره في عيون الآخر، كانت كل الأشياء مخيفة ومربكة، كلٌّ في عالمه يفكر ويرتجف، أشرقت الشمس، وتسلّلت أشعتها النوافذ وعكست على العيون الحمراء،وعلى الوجوه المرتجفة الذابلة، كان الصمت يتربع عرش المكان، لازال الصمت سيد المخيفات، لكن ! هل للصمت صوت ؟! وإن كان .. فهل يبدو مخيفا إلى هذا الحد ؟ إنه يكاد يتغلب على ألف صوت من أصوات المفترسات الكاسرة، إن له كاريزما تفرض على النفس رعبا لا تقوى على إثارته ألف حرب وألف معركة، كان ولا زال سيد المخيفات الكاسرة ..لكن صوت أقدام الطبيبان على الدرج الخشبي كسرت حدّة الصمت وسرعان ما توجهت العيون المستفهمة لهم .. جلس جوزيف منتصف الدرج وكأنه لا يقوى على النزول .. نظر إلى وجه إيثين وقال بصوت مختلط بالدموع :

-مسموم .. لقد تم قتله بالسم..

وقف إسحق مفزوعا، اصطكّت أسنان كريستين، نظرت كساندرا لجوزيف وركضت إليه، احتضنت ذراعه وجلست جواره على الدرج وراحت تبكي كالأطفال، نظرت فانتيلا إلى دانييل، أمسكت يده وهمست في أذنه :

-ثمة قاتل في هذه الغرفة .. دعنا نرحل أرجوك.

أومأ دانييل برأسه لكنه لم ينبس ببنت شفة ..

جلس إسحق على الكنبة، ثم قال بصوت بالكاد يسمع :

-أرجوكم اخرجوا من بيتي، وابقوا لي جثة صديقي جايكوب، غادروا هذا المنزل .

نظرت فانتيلا إليه، الآن وقد تبخّر الحلم والكتاب لم يبق أي شيء مهم بقدر النجاة، النجاة وحدها حلم الجميع .

حمل إيثين وآدم جثتي الفتاتين، وسارا، تبعهما الجميع باستثناء إسحق الذي أغلق الباب وراءهم بالمفتاح .

قالت فانتيلا لدانييل :

-ماذا الآن؟!

-لا أعلم يا فانتيلا، دعينا نصل وندفن الفتاتين ثم نقرر ما نفعل.

أومأت برأسها وسارت معه وهي تمسك ذراعه بحرارة وكأنه أملها الأخير، لكنّ دانييل كان مشغولا في أمر آخر تماما، أمر طالما أرّقه وحده .."وجه كاميليا".

وصل الجميع الكوخ، قال إيثين :

-سندفن الفتاتين بجانب الكوخ، استريحوا في الداخل إلى أن نعود .

فتح جوزيف الباب، وجلس على الكرسي منتصف الصالة ودفن وجهه بين ذراعيه، جلست كساندرا إلى جواره وهي تسترق النظر إلى الوجوه بين الفينة والأخرى بحذر شديد، أما فانتيلا فقد رمت نفسها على السرير بجوار آدم ودانييل وكريستين، كان السرير لا يتسع لأكثر من شخصين، لكن الخوف بطريقة أو بأخرى جعلهم يجتمعون عليه وقد ناموا عكس بعضهم .

"فانتيلا"

لم يكن ثمة شعور بالأمان، كان الخوف يسيطر على كل منّا، ليس الخوف نقيض الأمان كما اعتقدت طيلة حياتي، بل نقيض الحياة والنوم، أكلنا الأرق ليلتها، كنا نسترق النظر إلى الوجوه بحذر، مرّ خيال أمي .. هذه المرأة العصبية التي لم أعرف يوما إن كنت أحبها أم أكرهها، شعرت أني بحاجة صوتها المربك، لم أكن أشعر بقيمة البيت وصوت أقدامها الثقيل على الدرج، لكني أدفع الآن عمري لأسمعها تصرخ مرة أخرى :"فانتيلا .. أيتها الخطيئة"، إيبيه يبدو أن هذه الجزيرة ستلتهمنا دون شبع، لكن ! هل الألم الذي أصاب معدتي الآن هو شعوري باقتراب هذا العظيم .. الموت !، أنا فانتيلا أنريكيه كامور، اليوم السادس عشر من أبريل للعام ٢٠١٩، قررت أن أكتب مذكراتي من اليوم، إلى يوم النجاة أو .. يومي الأخير .. لا أدري ما أكتب ومن أين أبدأ .. أنا عاجزة عن النوم وخائفة، أشعر ببرودة أقدام كريستين ورجفة آدم وصوت أنفاس دانييل المضطربة، عزيزي أنطوانيت متى سأتوقف عن الكتابة لك، ولماذا يأخذني القلم إلى اسمك كلما أمسكته.. عصيٌّ كان كل شيء

.. عصيا صار كل شيء .. وها أنت اليوم يا أيها البعيد في بلاد الملح أو جزر القمر أو أبعد منهما بقليل تخطر على بالي بعد أن صارت نهايتي حتمية، أنطوانيت .. كنت أحبك لمّا رأيتك، صرت أحبك لما افترقنا، ما اسوأ اللحظة التي يقف فيها المرء منّا على حافة كل شيء، مقتربا من الهاوية ويدرك وقتها أنّ الساذج الذي مرّ قديما وغاب .. كان حب حياته، لا أحد سيمر مثله ولا أحد سيعوض عنه، لكن الآن وقد غاب كل منا إلى حياته وصرت غريبا كما ولدتَ، أكتب لك .. أنا أعلم أنّي أستحق ما يحدث، هذه الجزيرة المجنونة باللعنة .. تعاقب كلّا منا على ما اقترفته يداه، أنا سرقت مخطوطتك في الماضي، لكنهل أستحق أن تسرق الجزيرة حياتي ! لكن .. هل كانت المخطوطة تعني لك حياتك؟! هل سرقت حلمك يا أنطوانيت ! هل آلمتك إلى هذا الحد الذي أستحق فيه أن أسحق في هذه اللعنة المخيفة ..

***

استيقظ الجميع على صوت جوزيف الذي طرق الباب وبدأ بالمناداة، خرجوا إلى الصالة، كانت كساندرا قد جهزت حقيبتها وجلست بجوار جوزيف الذي بدأ القول :

-حسنا أيها الرفاق، أنا أعلم كساندرا والفتيات لكنهماقتلتا ..

وأنا الآن أقترح أن نفترق، لأني وبكل بد لا أصدق أيا منكم ..

قال إيثين :

-ولكن يا سيد جوزيف ماذا لو كان إسحق هو القاتل كما توقعنا؟!

قاطعتهم فانتيلا :

-الأدلة على إسحق غير كافية ومعتمدة على رواية واحدة وهي رواية كساندرا التي من الممكن أن تكون كاذبة!!

خلع إيثين نظارته وقال:

-حسنا بما أننا سنفترق .. لنخبرهم بالحقيقة يا جوزيف.

أومأ جوزيف برأسه موافقا..

- الدم الأصفر.

- ماذا؟؟؟التفتت فانتيلا حولها وكأنها لم تفهم ..

- يا آنسة لقد وجدنا بقعا من الدم الأصفر على بنطال السيد إسحق.

- وماذا يعني هذا الأمر؟؟

"قاطعهم دانييل":

- وهل للدم ألوان؟

-حسنا أنصتوا جيدا، نحن اتهمنا كساندرا بالجريمة حتى يسمح لنا إسحق بالمكوث فترة أطول في بيته لنسرق ما نحتاج إليه من أدلة وأمور قد تساعدنا في إدانته والهروب من الجزيرة كذلك ..

-ماذا تعني؟؟"سألت فانتيلا وقد أغلقت نصف عينيها"

-إن الدم الأصفر ليس له إلّا جسد واحد.. حمامة نيكوبار .

-وماذا في ذلك؟؟

-أنتم تعلمون أن السيد إسحق يجلس هنا في هذه الجزيرة ليحمي الطيور المهددة بالانقراض وعلى رأسها طيور الكاجو وحمامة نيكوبار .

-طيب؟!

-إن كان ثمة دم أصفر على كل ملابس إسحق فهذا يعني أمر من اثنين، إما أن إسحق مخادع واستطاع خداع السلطات طيلة العشرين عاما .. أو أن إسحق ليس إسحق .

فتحت فانتيلا عيونها بذهول ونظرت إلى دانييل وكأنها تستفهم:

-هل فهمت؟

-إن حمامة نيكوبار تمثل ثروة لا يستهان بها للقراصنة وفي السوق السوداء، نظرا لما يحتويه دمها الأصفر من ترياقات، إنها كالذهب وأكثر منه أهمية .. لهذا سمحت السلطات لإسحق بالمكوث في هذه الجزيرة التي يتنازع عليها بلاد الملح وجزر الأنتيل وكل دول المحيط الأطلسي، ولهذا وقّعت هذه الدول اتفاقية الحياد قبل ثلاثين عاما لتمنع أحدا من زيارتها أو الدخول لها لما بعد مئة عام حتى لا تستنزف هذه الثروة .

سأل آدم مستفهما :

-فيم تشكون؟؟

-إنّا نشك أن إسحق يقتل هذه الحمامات ويستخرج الترياق من دمها ويحتفظ به ويستبدله مع القراصنة بمساعدة جايكوب ذلك

-إذا يحاول طردنا من هنا بهذه الطريقة لأننا عطلنا عمله؟

-أجل.

-لكن لماذا قتل جايكوب إن كان الأمر كذلك؟

-لقد شعر أننا كشفنا سره فأراد أن يطرد شكوكنا بهذه الطريقة.

-لكن..

- اسمعي يا فانتيلا إن هذه محض شكوك للآن، لكن هذه المذكرات ستفضح كل شيء..

قالها وهو يرفع الدفتر في وجه الجميع، كان دفترا أخضر اللون كبير، حملقت فانتيلا في الدفتر لحظات ثم قامت مسرعة ..

-مذكراته؟؟

أومأ إيثين برأسه وهو يبتسم ابتسامة خفيفة، لمع سنّ فانتيلا وأمسكت الدفتر بكلتا يديها وكأنها تمسك حلمها وحياتها، فتحت الصفحة الأولى ووقفت مذهولة مما قرأت ..

"٧/ ٨/ ١٩٩٩ عندما اندلعت الحرب، حرب الأفوكادو ..

حرب الأفوكادو ..
الفصل الأخير

ليس ثمّة ما يعزّي فاقدًا عمّن فقد .. لكنّ الخطيئة الأولى قد تزيل جزءًا من النّدم وتريح في النّفس شيئًا يسمّى الملامة، عندما يدرك الإنسان أنّ ما لاقاه كان شرطًا أساسيًّا لما صنعه ولعدالة الأرض، هذا ما أدركه جوزيف الطبيب السبعيني عندما حمل جثتيّ ريتا وديلونا اللّتان لطالما عرف خطيئتهما وخبأها بسترته السوداء الطويلة، لكنّ ألف سترةٍ لم تستطع أن تخبئها داخله، كان كلما نظر إلى عينيهما رأى سالي .. الطفلة التي صدماها في السيّارة ليلة الرّابع من ديسمبر سنة ٢٠١٤، وتملّصا من فعلتهما بأن حملاها في السيّارة وأخذاها إلى أقرب مشفى مدّعيتانِ أنّهما وجداها تنزف وأنّ طائشًا اصطدم بها وهرب، وقد لعبتا دور المنقذ أمام الأطبّاء والممرِّضين، ووقفتا أمام تصفيقهم مخالتين بما صنعتا، وقد تناسيتا الضحية والقدر، لم يستطع جوزيف أن ينسى وجه أمّها التي قبّلت الفتاتين وظلت تسير في الممر كأنّها على موعدٍ مع ملك الموت، لم يستطع أن ينزع صورة جسدها الذي سقط على الأرض لمّا سمعت خبر وفاة سالي .. وقد حمل حقيبته ونزل إلى الكراج ليستقلّ سيّارته ويغادر ضجّةَ المشفى، غير أنه سمع شجار الفتاتين ورأى بقعة الدمّ التي يحاولان مسحها عن مقدمة سيارتهما، ركضت ديلونا إليه قائلةً

وهي ترتجف:

-لم أكن انا .. السّائقة .. أرجوك لا تبلغ السلطات..

شعر بشبه بينها وبين آنا .. طفلته التي كبرت فجأةً وغادرت بيته وتركته، أراد أن يساعدها .. أن يتملّص لحظةً من القانون والدنيا، ومن هنا بدأت علاقته مع الفتيات اللواتي اعتبرنه الأب الرّوحاني لهنّ والملاك الحارس، لكنّ سالي كانت تمرّ على باله من أول ما وطأ أرض الجزيرة، وتساءل إن كانت الفتاتان تعاقبتا وماتتا، فما هو عقابي ومتى سيأتي ..

***

علا صوت فانتيلا من داخل المطبخ :

-من يريد حساء البامبا؟؟؟

ضحك دانييل وهو جالسٌ في الصّالة قائلًا:

-أنا ..

قبل أن يلتفت لآدم وكريستين ويقول:

-مزاجها اليوم عالٍ..

دخل إيثين وهو يزرِّر آخر زرٍّ في قميصه :

-هذا أثر المذكّرات ..

ردّ آدم :

-أجل أجل .. هذا سبب مجيئها إلى هنا أساسًا .. لقد سهرت طوال الليل وهي تقرأ بالمذكرات

-جيّد إذًا لا حاجة لنا لقراءتها وفكّ شيفرة خطّ إسحق الغريب، ستطلعنا فانتيلا على كلّ ما كتب به

- سمعتكم يا رفاق ..

دخلت وهي تحمل قدرًا يغلي، وتربط شعرها بمنديل أصفر غريب :

-أين .. أين الطّاولة؟؟ إنّه ثقيل

ضحك دانييل وأسرع ليأخذه من يدها

عادت مسرعةً إلى المطبخ، وزّعت الأطباق والملاعق، ووقفت أمام القِدر قائلة:

-هيا في أدواركم هيا يا أطفال

-ما هذا؟؟ "سأل إيثين مستفهماً وهو ينظر داخل القدر"

أجاب دانييل وهو يضحك :

-حساء البامبا

ردّت فانتيلا:

-الآن قفوا في طابور، وكفاكم استهزاء، إنه حساء البطاطس والجزر..

وقف الرجال في طابورٍ منظّم كالأطفال في المدرسة، لكنّ كريستين لم تنتظم بالدور، بل ذهبت وحدها وسكبت صحنها وعادت لتجلس وهي تنظر إليهم ..

-معلّمتي، لماذا كريستين لم تقف معنا؟؟

-لأنّها فتاة، لا تتدخل يا آدم وقف صامتًا وإلّا...

- وإلّا ماذا؟؟ هل ستنقصين لي خمس علامات ؟؟ أم ستضربينني على مؤخّرتي بالملعقة ؟؟

لم تستطع أن تكتم ضحكتها أكثر فانفجرت في وجوههم، ثمّ تمالكت نفسها وأكملت سكب الحساء للرجال المنتظمين .

للنساء قدرةٌ هائلة على إملاء الأوامر، وللرّجال قدرة عجيبة على الإذعان لها، ليس ثمّة قائدٌ عسكريٌّ في العالم قاطبة قادرٌ على إقناع ثلاث رجال مقدِمون على الموت في جزيرةٍ مجهولة لأن يقفوا

في الطابور مقابل تذوّق حساء البطاطا والجزر !! لكنّ فانتيلا الثلاثينيّة النحيلة استطاعت فعل ذلك وهم يبتسمون، لم يشعر أيٌّ منهم أنّه مرغمٌ على الأمر ..

ترى لو فكّر الرجال قليلًا في كلام المرأة المخفي خلف الكلام المعسول هل نفّذوا الأوامر أم تمرّدوا؟؟!

"صباح الخير يا حبيبي،هلّا أحضرت لي الكاجو من السّوق؟؟، حاضر يا حبيبتي"، ويعود كالأبله حاملًا كيسًا من الكاجو وهو يهزّ برأسه الكبير كالحمار وتعلو وجهه ابتسامة الأبله المعتوه، لكنّ مديره في العمل قال له هذا الصباح: هلّا أحضرت لي القهوة ؟، شتم القهوة ومكتشفها ألف مرّةٍ وبصق في الفنجان قبل أن يقدّمه، إنّه سحر المرأة ولعبتها.

***

جلس الجميع في الصالة بعد أن تناولوا حساء البامبا كما أسمته فانتيلا، كان يبدو أنّ سعادة فانتيلا طغت على الجميع، فبدت الوجوه سعيدةً مرتاحة، افتتح إيثين الكلام قائلًا :

-حسنا يا فانتيلا، ماذا وجدت في المذكرات؟

-يا إلهي ..

لمعت عيناها وكأنّها ستحكي قصّة حبّها الجميل .. جمعت كفّيها أمام صدرها وابتلعت ريقها ثمّ قالت :

-انظر، إنّه يدعى خوسيه مونتلبان، لكنّ ابنه الكبير يدعى إسحق، وقد سمّى نفسه إسحق بعد وفاة ابنه الكبير، لكن حياته نوعًا من المأساة ! لقد كان يعيش في أثيوبيا هو وزوجته سارة، وابنته ماريا وابنيه إسحق وديكارت، لكن ثمّة نوعٌ من الغموض يلتفّ حول قصّته، أعني .. لقد كتب في المذكّرات أنّه وفي عام ١٩٧٦ التقى بسارة أوّل مرّة وقد كان يبلغ من العمر أربعة عقود، أعني لا يبدو إسحق .. انتظر لحظة، "وقفزت مسرعةً عن الأريكة ودخلت الغرفة وعادت وهي تحمل الدفتر الأخضر، جلست ثم أردفت":

-لقد طويتُ الصّفحات التي وجدت فيها أمورًا غامضةً أو مريبة،انتظر " وراحت تقلّب في الدفترثمّ أشارت إلى الصفحات وهي تقول":

- ها هي

"التقيت بسارة أوّل مرّةٍ وأنا في عقدي الرابع، كانت تشبه الشمس، لم أعتد أن أحفظ التواريخ، لكنّ هذا التاريخ بالتحديد كان عليه أن يظل ها هنا، قابعًا في رأسي وعيني وبين الصّفحات ..

سارة .. كان يومًا عاديًّا من أيّام أكتوبر وتحديدًا الرّابع من أكتوبر سنة ١٩٧٦، حين أطلّت عليّ هي وأمّها لحاجةٍ لا أنوي ذكرها هنا، لكنّ سارة لم تكن كاللواتي يزرنني يوميًّا، كانت تعبث بكلِّ شيءٍ في الغرفة كالأطفال، تقف وتجلس أكثر من مرّة ولا تكاد تمرّ لحظةً واحدةً دون أن تهمس في أذن أمّها متململة ومتذمّرة، هادئة وفوضويّة، كانت مزيجًا من كل الأشياء وكأن ألعن الأشياء وأجملها اجتمعت في قالب وكوّنتها، لتصير سارة"

أكملت فانتيلا:

-أعني إن كان إسحق يبلغ من العمر أربعين عامًا قبل أربعين عام، فكيف يبلغ من العمر ثمانين عامًا الآن وهو يبدو رجلاً في عقده الخامس أو السّادس إن عزم الأمر !.

خلع إيثين نظارته ومسح جبهته، نظر إلى فانتيلا بحدّة قائلًا :

-ممم ملاحظة جيّدة ومهمّة للغاية، أكملي ماذا أيضًا؟؟

-أجل، يقول أنّه رجلٌ مختلط الأنساب لا يدري من أبويه، ربما كان يعمل طبيبًا نسائيًّا في أثيوبيا لأنّه قال أنّ النساء يزرنه باستمرار، ولكن هو لا يبدو طبيبًا! ثم لماذا قد تزور النساء طبيبًا شابًّا في بيته، وأيضًا هناك .. لقد قال أنّه ا.. انتظر لحظة " أكملت تقليبها في

الدفتر" .. أجل ها هنا

"اليوم هو اليوم الأكثر سوداويّةً في حياتي قاطبة، لقد اكتشفت سارة عملي، وعدتها أنّي سأتركه وسأعود عنه بلا عودة، لكنها قالت لي : إن كنت تنوي تركه فمن هذه اللحظة، أخبرتهم بنيّتي في بدء حياةٍ جديدة، لكنّهم قالوا لي : من يدخل بابنا لا يخرج منه البتة، حملت حقائبي وغادرت مع سارة والأطفال، قالوا لي : إن ذهبت ستندم، لكنّي ضربت تهديداتهم عرض الحائط، أوه سارة عزيزتي سامحيني أرجوك، يا إلهي، لقد ذهبت سارة وذهب معها ديكارت وذهبت ماريّا ملاكي الصّغير.. لم يبق لي إلا إسحق، سأغادر الليلة للمكسيك، وسأباشر عملي القديم على أمل أن يعيدوا لي سارة، أنا أعلم أن لا سلطة لهم على الموت لكن لا أدري، سأقضي حياتي في المحاولة"

-أعني يا إيثين .. من هم؟ وما هو عمله؟ ولماذا لم يبلغ السّلطات؟ ثم ألا تعتقد أنه اختصر في رثائهم قليلًا؟

-أجل هذا أمرٌ مقلقٌ للغاية .

بدا وجه إيثين جديًّا للغاية وقد تفصّد من جبينه العرق وبان شريان الغضب منتصف جبهته، واحمرّ وجهه ..

-حسنًا أكملي يا فانتيلا..

-أجل لقد ذهب للمكسيك وقضى عشر سنوات فيها، وقد استطاع ادّخار مبلغ كبير، لكنّ الغريب في الأمر أنه خاطب إسحق على أنه طفلٌ صغيرٌ مع أنه كان سيبلغ من العمر عشرين عامًا أو أكبر حسبما أعتقد ! ثمّ قال: لقد عادوا إلي في أمر أقوى .. لقد عادوا، وأنهى الصفحة وظلّ سبعة أيَّامٍ دون أن يكتب، ثم باشر بعدها قائلًا :

-"اليوم السّابع من عودتي الجدّيّة، لقد عدت جديدًا، قويًّا وصلبًا كما كنت في العشرينات، أنا الآن في ولاية ميتشواكان، وأسكن بجوار مزارع يدعى خوسيه، علّمني زراعة الأفوكادو، إذ أنها تدر ربحًا رهيبًا كالذهب، لكن وبعد عشر سنين من هذا العمل الجديد وبعد أن أصبحت حديقتي خضراء ومليئة بالأفوكادو وأنا لم أرَ خيرًا، لقد هجمت علينا العصابات المسلّحة وطردونا من البيت، كانت الدّماء تملأ الشوارع، والبنادق تلوّح في أيدي الصّغار قبل الكبار، حتّى خوسيه، هذا الرجل السّمين كان قد تحول لوحش كاسر، وقد اختبأت وإسحق في إحدى الملاجئ، وسمعت صوتًا يصرخ بين الأصوات الكثيرة :" إنّها حرب الأفوكادو".. لم أعِ ما يقال وقتها، لكنّ الأمر بدا كارثيًّا، أعني ليس ثمّة بيت ها هنَا لم

يزرع الأفوكادو، الجميع يحبّها، قال لي خوسيه إنّ الحرب قامت بسبب حبّة الفاكهة اللّعينة، لقد سيطرت العصابات المسلّحة وتجّار المخدّرات على مزارعنا، وتغوّل المزارعون وتحوّلوا لرجال عصاباتٍ هم الآخرين، وقد تسلّحوا وخبأوا نساءهم وأطفالهم في الملاجئ، علمت وقتها أن الوقت قد آن للرّحيل، وعزمت الرّحيل إلى بلاد الملح .."

أكملت فانتيلا تقليبها في الصّفحات وهي تقول :

-لا داعي لأن نعرف ما جرى معه وهو في الطّريق، سأخبركم ما رأيته غريبًا جدًّا، آه هنا، انظر :

"اليوم طلب منّي إسحق طفلي الصّغير أن نذهب لرحلةٍ سرّيّةٍ لجزيرةٍ تدعى جزيرة السنّار، كان يتحدث عنها وكأنه يتحدث عن شخصه كله ! إنها المرّة الأولى التي أرى فيها هذا البريق في عينيه، لكنّ الجزيرة بدت عاديةً جدا "

-أعني يا إيثين لقد قال اليوم طلب منّي إسحق ثم قال بدت الجزيرة عاديّة، أعني .. كيف وصلها بهذه السّرعة ! يومٌ واحد؟؟!! ثمّة أمر لا يصدّق ها هنا ! ثمّة تلاعب بهذه المذكّرات، أو أنّ إسحق مجنون بلا عقل، أو أنّ أمرًا آخر لا أدركه أنا ولا تدركه أنت حدث!!

-أكملي فانتيلا أكملي .." قال دانييل وقد بدا مشدوهًا لما يسمع".

-حسنا، هنا المأساة .. تمالكوا أعصابكم أرجوكم ..

" اليوم العاشر من أغسطس للعام ٢٠٠٠، إنّه يومنا الثّاني على هذه الجزيرة .. "

-ولم يكمل.. ثم أكمل بعد عشر صفحات ..

"لقد .. رحل .. إسحق .. طفلي .. رحل .. قتلوه، لا أدري .. ماذا .. حمامة نيكوبار "

-ثم توقّف وأكمل بعد صفحتين

" اليوم .. يومي الخامس عشر على هذه اللعينة، لقد أصيب .. حسنًا في اليوم الثّاني أصيب إسحق برصاصة صيَّادٍ من القراصنة، كان ينوي قتل حمامة نيكوبار، استقرّت في رأس إسحق .. وقد عزمت على نفسي من هذا اليوم أن أظلّ ها هنا على هذه الأرض أحمي حمامة نيكوبار المهدّدة من جحافل الصيّادين ورصاص الغدر، عزيزي إسحق لن تذهب حياتك سدى أعدك بذلك .. ومن هنا سأتوقف .."

-وقد مُسِحَ ما كتب بقلم آخر، اقترب يا إيثين وانظر بتمعن ..

اقتربَ إيثين وهو يفتّش في جيوبه

-آه ها أنت هنا

ارتدى نظارته وأمسك الدّفتر وقرّبه إلى وجهه قائلًا :

-أريني

وضعت فانتيلا إصبعها :

-هنا

"ومن هنا سأتوقّف .. سأتوقّف ......به

-هناك كلمتين محذوفتين على الأقل

-عن الكتابة " قال دانييل ثم أردف :

-ربّما كان يقصد سأتوقف عن الكتابة

رمقه إيثين ثم قلّب في الصفحات قائلًا:

-إنّ الخطّ مختلفٌ والقلم مختلفٌ كذلك ..

سأل آدم

-ماذا يعني هذا؟؟

أجابه إيثين وهو ينظر للدفتر بعناية :

-إنّه يعني شيئًا واحدًا فقط

وقام مسرعًا

-يا رفاق علينا حماية جوزيف وكساندرا

.. هياا .. إنّه القاتل

قام الجميع، لكنّ دانييل وقف قائلًا :

-أين كريستين ؟؟

داروا في الغرفة، ركض دانييل لداخل غرفة النّوم، كانت كريستين ترتجف أسفل ملائتها .. تنهّد دانييل، رفع الغطاء عن وجهها ثم قال:

-أقلقتني عليك .. ماذا هناك؟

-لا شيء أشعر بالقليل من التوعّك ليس إلّا ..

وضع يده على جبينها متحسّسًا إياه :

-حرارتك معتدلة

-أجل أجل إنّها العادة الشّهرية ..

-هل أصنع لك شيئا؟

قال آدم من خلفه :

-هيا أيها الحسّاس الرّومانسي..

-هل أنتم ذاهبون لمكان معين؟؟

-أجل يا كريستين، إنّ إسحق هو القاتل، سنذهب لنجد جوزيف وكساندرا لنحذّرهما

-حسنًا، اذهبوا أنتم سأنام أنا

-لا يمكن

قال دانييل وهو ينظر لآدم متسائلًا بعينيه، حكّ آدم رأسه ثم قال وهو يبتسم ابتسامةً خفيفة :

-كالعادة لا مشكلة .. سأظلّ معها، لكن لا تتأخّروا

ضربه دانييل على كتفه واستعجل الخروج وهو يقول :

-اعتنِ بها جيّدًا، اصنع لها حساءً أو أيّ شيء

ثم التفت ونظر بخباثةٍ إليها :

-لا تفكّر في الأمر

أخفض صوته :

-إنّها تعاني من العادة الشهرية..

رمت كريستين عليه الوسادة:

-اخرس أيّها الوقح

ضحك دانييل وغادر الغرفة .

***

فانتيلا ..

الآن وقد وصلتُ هدفي الأوّل للمجيء إلى الجزيرة، وحللت لغز إسحق وسأكتب روايتي إن نجونا، بقي الهدف الثّاني،.."ما وراء الجبال" .

قطع صوت إيثين تفكير فانتيلا :

-أين هم، أين سيكونون؟؟

-أعتقد أنّهم توجهوا للجنوب

قالتها فانتيلا، فردّ دانييل :

-لا أعتقد ذلك .. أعتقد أنّهم توجهوا للغرب، الوجهة التي حطّ عليها القارب أوّل مرّة

-حسنًا سنتّجه غربًا ثم نمشّط الشاطئ .

-حسنًا

نظر إيثين إلى البوصلة الصغيرة بيده، مدّ يده لليسار قائلًا :

-الغرب من هنا

سار الثلاثة معًا بين الأشجار الكثيفة، كان يمكن للمرء أن يضلّ طريقه ألف مرّة بين الأكوام الخضراء المتناثرة والمتشابهة، لكنّ عيونًا كعيون إيثين، وذاكرة كذاكرة دانييل وفضولًا كفضول فانتيلا جعلوا من المسير أمرًا هيّنًا أمام كلّ هذه العقبات، كان يمكن للمرء أن يضل في عيني فانتيلا اللّامعة وهي تنظر لهذه الأشجار مذهولةً من كبرها وغرابة أشكالها ورائحتها التي تشبه بداية المطر .

ساروا بحذرٍ واتّبعوا تعليمات إيثين الذي طلب منهم ألّا يصرخوا باسم جوزيف أو كساندرا البتّة، إنما يعتمدوا على عيونهم ليس إلّا .

توقف إيثين عن السير لحظات، مدّ بصره على هذه المساحة الخضراء الخالية من الشجر أمامه، ثم قال :

-وصلنا المنطقة الغربيّة

قالت فانتيلا:

-بهذه السّرعة؟

-هذه بدايتها يا فانتيلا، وجدت خريطةً في بيت إسحق .

أنزل حقيبته عن ظهره، فتح السحّاب وفتح الخريطة، مدّها على الأرض وقال :

-هنا

وأشار إلى إشارة إكس حمراء

-هنا المنطقة الغربيّة، عندما تنتهي الأشجار، لقد علمنا أنا وجوزيف المناطق الأشدّ أمنًا والأشد خطرًا، إنّ هذه المنطقة تُعد من أشدّ المناطق أمنًا ..

خبّأ الخريطة وارتدى الحقيبة وأكمل مسيره .

ابتسمت فانتيلا وهي تنظر لهذه الأرض الهادئة :

-اعتقد أن جوزيف أخذ كساندرا إلى هنا، الجهة الشرقيّة يعيش بها إسحق ونحن، والجهة الجنوبيّة باردةً وقريبةً من مراكب القراصنة ومليئة بالأشجار، والشمالية حيث تقبع الجبال تعدّ منطقة خطرة ووعرة، هذه الأرض منبسطة لرجل سبعينيٍّ كجوزيف .

سارت فانتيلا ودانييل خلف إيثين، الذي بدا أنه يعرف الجزيرة أكثر منهم، كواحد منها، مضى عقدًا في أرضها، توقف فجأة مادّا يده للخلف، التفت لهم قائلًا :

-انظروا إنّها آثار أقدام

اقترب دانييل وفانتيلا ونظرا للأرض جيّدًا:

-أين؟؟

-هنا، ها هي

-هل تعتقد أنها تعود لجوزيف؟

-ربّما

قال دانييل:

-أنا لا أعتقد ذلك، إن كانت تعود لجوزيف أين هي آثار أقدام كساندرا ..

نظرت فانتيلا لوجه دانييل قائلة :

-هل تكون آثار أقدام إسحق؟؟

-هيا يا رفاق دعونا نكمل بحثنا ..

نظر إيثين إلى اليسار قائلًا :

-من منكما قادرٌ على التسلّق

ردّ دانييل :

-أنا ولكن لماذا؟؟

-هناك يا دانييل، سنصل الجبل ذلك، ستتسلقه، إنه يُظهر جزءًا لا يستهان من الأرض، وهذا سيوفّر علينا مجهودًا عظيمًا في البحث.

أومأ دانييل برأسه موافقًا وسار خلف إيثين..

"الإذعان"

القاعدة الأساسيّة للعيش بسلام، ثمة نوعٌ من البشر خُلقوا مذعنين بطبعهم، لا يواجهون أيّ مشكلة في حياتهم، كلمة واحدة "حسنا، أو حاضر" مهما كان شكلها أو لونها، أو طعم وقع قلوبها في قلوبهم وآذانهم، لكنّهم لا يكادون يفكّرون بالأمر، تشعر أنّهم خلقوا ليذعنوا ليس إلّا، لكنّ نوعًا آخر من البشر يشعر المرء أوّل ما ينظر في وجوههم بالتمرّد المخفي خلف عيونهم الحمراء وسواعدهم الخشنة، ثمّة شعوب كاملة خُلقت لتتمرّد ليس إلّا، لكنّ دانييل لم يكن من كلاهما، بل كان من الوسط، المكان الذي يتّسع لنصف الكرة الأرضيّة أو يزيد ويضيق بفانتيلا التي لم تتعلم أن تقول بلا .. حسنًا .. حاضر، أما إيثين فقد انتمى للنوع الرّابع، القائد بالفطرة، كان يملي الأوامر ليس إلّا.

كانت الجزيرة تصغر شيئًا فشيئًا أسفل عيني دانييل الذي بدأ التسلّق على الجبل الكبير، كان يعلم أنّ هذه ليست لعبةً كالتي في بلاد الملح، وأنّ حبالًا لا تربطه، سوى فانتيلا، التي وقفت وفردت

يديها في الأسفل تحسبًا لسقوطه، كان يضحك على منظرها وبلاهتها، بدأت صورتها تصغر شيئًا فشيئًا .. وبدأ عرقه يزرب أكثر، كان يعلم أنّ الموت حتميٌّ إن سقط، لكنّ لذّة لا يدركها جعلته مختالًا وهو يتسلّق، شعورٌ بالنشوة مختلطٌ بألمٍ صغيرٍ يدغدغ معدته من الأعلى بنعومة، هل تغري المخاطرة الطبيعة البشريّة بالعموم؟!، بدأ يشعر ببرودة النّسيم، لكنّ الصّخر الصّلب الخشن جعل مهمّة التسلق أسهل على دانييل، اختفى صوت فانتيلا التي كانت تنادي وتبتهل، استطاع الوصول إلى قمّةٍ ظنها القمّة العليا، أراح جسده وضحك، وقف وبدأ بنفض ملابسه قبل أن يلتفت ويكتشف أنّه لم يقطع أكثر من نصف مسافة الجبل للآن !، كان ثمّة طريق ضيّقٌ ملتف، شعر دانييل بالفضول ونسي أمر الخطّة لحظات، سحبه فضوله ليلتف معه، سار في الطّريق بحذرٍ إلى أن وصل إلى كهفٍ مظلم خلفه، رمى حجرًا وابتعد قليلًا، خرجت أسرابٌ من الخفافيش الّتي كادت أن تسقطه، لكنّها اختفت خلف الغيوم ورؤوس الأشجار بعد دقائق، اطمأنّ دانييل ودخل الكهف وخطواته متردّدة، بدأ بالتوغل أكثر، تناول كشّافًا من حقيبته وأضاءه، كان الكهف يزداد حلكةً كلّما سار أكثر، ثم سرعان ما تبيّن له طريقٌ ضيّق، سار به ليجد غرفة مدوّرة وفي منتصفها نارٌ مطفأة اقترب منها وتحسّس الأخشاب، كانت

باردةً ومليئةً بالندى والرّطوبة، علم أنّ أحدًا كان هنا في وقت قريب، رفع الكشّاف وسلّط الضوء على جدران الغرفة، لم يكن ثمّة شيءٌ يثير الفضول فخرج مرّةً أخرى، وأكمل تسلّقه إلى أن وصل القمّة، جلس ليرتاح قليلاً، كانت الجزيرة تبدو من الأسفل وكأنّها لوحة فنّية، سَحَرَهُ منظر البحر وقمم الأشجار العملاقة، التفت للخلف، أصابته الرّعشة لمّا رأى سلسلةً من الجبالالمتلاصقة والتي تختفي قممها أسفل الغيوم، راح يتساءل عمّا وراءها، التفت إلى الوراء مرّةً أخرى، وجّه نظره للأرض، كان هناك شيء غير طبيعي صغير، أدرك دانييل أنه خيمة ما، حدّد موقعه ونزل مسرعًا، كانت فانتيلا لا تزال فاردةً يديها بانتظاره، وعندما اقترب من الأرض ضمّتهم إلى صدرها وركضت إليه واحتضنته .

أمّا إيثين .. فقد كان جالسًا على الأرض يطالع الخريطة، التقط دانييل أنفاسه ..

-ماذا وجدت؟

-لا أدري، هناك كهف في الأعلى وفيه نارٌ مطفأة

-كهف ؟؟

-أجل يا إيثين، كهفٌ كبير، مظلمٌ وبارد، يبدو أنّ أحدًا ما زاره

البارحة أو قبل البارحة

-لماذا تظنّ ذلك؟؟

-رتابة الأخشاب تظهر عدم بعد الزمان، لقد تحسّستها كذلك، لا أدري ربّما صباحًا

- حسنًا وماذا وجدت على الأرض؟

-تصعب الرّؤية من الأعلى لكن لقد وجدت هناك شيئًا يشبه الخيمة

-أين؟؟

تلفت إيثين بحماسة، ووضّب الخريطة وقام عن الأرض

-هيّا هيّا

-لا أدري أيّ طريقٍ نسلك

-سيروا معي

-سارت فانتيلا ودانييل خلف إيثين، اجتازوا الغابة العشبية، وقفوا على تلّة تُظهِر في الأسفل أرضًا خضراء هادئةً تشبه الرّيف .. قال إيثين :

-سننزل إلى هذه الأرض، قال إسحق لي ولجوزيف هنا تسهل

الحياة لتواجد المياه العذبة، ثمّة نهرٌ عذبٌ جار ها هنا وتوجد أدياكٌ روميّة وماعزٌ بريٌّ، أعتقد أن جوزيف قرّر البقاء فيها .

نزلوا التلّة ولّما وطأواالأرض شعروا أنّهم في أحد أرياف بلاد الملح، الأرض هنا تشبه الرّيف في هدوئها، نظرت فانتيلا وهي تسير خلف إيثين إلى أزهار الأوركيد التي نبتت بتلقائيّة هنا وهناك، كان النّسيم العليل يداعب ضفائرها، شعرت أنّها في وطنها، طالما تساءلت عن السبب الذي جعل بلادها تحمل اسمها ! لم يغادر صوت جدّتها ذاكرتها عندما سألتها وهي ذات السّبع "تعود القصة للأساطير، هناك الكثير من الأساطير التي تحاك عنها يا فتاة، يقال أن راعيًا أحبّ راقصةً في إحدى الحانات، لكنّ والدها لّما علم بالأمر منعها من الخروج فظلت ترقص في غرفتها حتى تورّم كاحلاها، وماتت، أمّا الرّاعي فَقَدَ كلّ خرافه وجلس على إحدى التلال يبكي ويصرخ وقد توفّي في مكانه، وعندما حمله الرّجال لدفنه كان ملح دموعه قد غطّى ملابسه والتلّة، وامتلأت أيدي الرّجال بالملح، وبكى عليه كلّ أهل بلاد الملح حتى باتت تعرف بهذا الاسم" .

لقد عرفت فانتيلا منذ اللحظة الأولى مدى بلاهة هذه القصّة وتساءلت عن السبب الذي يجعل المرء يتعلّق بهذه الخرافات، وعن الريح التي تحملها الذّكريات وهذه الرّائحة التي تعشعش بالأنف،

لكنّها كوّنت فيما بعد نظريّتها العقلانية وصدّقتها، ربّما لأنّ مهنة أغلب سكّانها الصيد، وتعدّ أوّل دولةٍ عالميةٍ في تصدير الملح لهذا سُمّيت الملح .

تذكّرت أنطوانيت، هذا العشب النّاعم الذي دغدغ قدميها ورائحة الأوركيد أعادت لها طفولتها ورعونتها .. وأنطوانيت .. قطع صوت إيثين حبل أفكارها وهو يصرخ :

-هناك خيمة .. اسرعوا

نظرت إلى حيث أشار إيثين، شعرت بدغدغةٍ أسفل بطنها "الخيمة"..

سار إيثين بحذر حول الخيمة، مادًّا يده للوراء طالبًا منهم التوقّف، رفع سلاحه وأزال القماشة عن الباب، زالت ملامح الذهول عن وجهه، رفع نظره قائلًا :

-إنّها فارغة، لا يمكن أن يكونوا قد ابتعدوا من هنا، اتّبعوني

***

فانتيلا..

سرنا وراء إيثين بحذرٍ شديد، كنّا نخشى أن يكون صاحب

الخيمة ليس جوزيف وكساندرا، رجع إيثين إلينا قائلًا :

-نمشّط الشّاطئ ثمّ نتوغّل ونعود إلى هنا

"إيثين "

هذا الطبيب النّفسي العبقري كان أكبر منّي وأكبر من دانييل، ليس في السنّ فحسب إنما في كلّ ما فيه ..

وصلنا الشاطئ وأكملنا مسيرنا .

مثانتي .. هذه الصّغيرة التي طالما أفسدت عليّ لحظاتي،تذرّعت بغسل يدي ودخلت الماء، ضحكت في سرّي وأنا أتبوّل دون أن يدرك أو يخطر ببال أيٍّ من هذين الرّجلين ما أفعل، نظرت إلى هذه المساحة الزرقاء أمامي، كانت ثمّة أسرابٌ من الطيور تتجمّع بعيدًا، ما أجملها وقد تجمّعت فوق الماء، خرجتُ من الماء وأكملتُ سيري خلفهم، توقّف إيثين لحظةً ثمّ قال:

-هناك آثار أقدامٍ، سيروا بحذر

سرنا وراءه حذرين لكنّ شيئًا لم يظهر لنا، سرنا قرابة الثّلاث ساعات، شعرت بالظمأ الشديد والتعب، لكن الأمور كانت تصغر أمام المهمّة التي لا بدّ من تنفيذها، قال إيثين :

-سنستريح قليلًا

جلسنا على الشاطئ أنا ودانييل، أما إيثين فقد دخل الماء وعاد وتمدّد بجانبنا قائلًا :

-هذه المياه هادئة هنا، أتساءل لماذا لم يبني جايكوب الكوخ ها هنا!

أجابه دانييل:

-ربّما هناك أأمن من أيادي الصيّادين

طار عصفورٌ أبيض اللون بمنقارٍ برتقاليٍّ من فوق رأسي، أشرت إليه قائلةً :

-يبدوا أنّ الطّبيعة تحاول قول شيء لي، هناك قصّة حبٍّ في طريقها إليّ

نظر إليّ دانييل بعيونه المائلة :

-لماذا ؟

-لقد رأيت أسرابًا منها على الماء

قال إيثين وقد تنبّه لما قلته جيّدًا ووقف منفعلًا:

-ماذا تقولين ؟؟ أين؟؟

- هناك عندما كنت أتبو.. أغسل يدي

أدار دانييل ظهره من شدّة الضحك، أمسك معدته وكأنها ستنفجر ..

قال إيثين وهو يحزم أمتعته :

-سنعود، يبدو أنّ الطبيعة حقًا تحاول قولشيءٍ لك ..

دانييل هذا الأبله المعتوه، ما الذي سيجعله ينسى الآن !! احمرّ وجهي حتّى شعرت أنّه سينفجر، دانييل صاحب الذّاكرة الفولاذيّة، إن انفجارا كونيا عاجزا عن جعله ينسى الآن، يا إلهي سيفضحني حتما،..، سرنا وراء إيثين عائدين من حيث أتينا، بدأت الشّمس بالأفول، لم أستطع أن استمتع بالغروب لأنّي ظللت أنظر للأرض إذ كلّما التقت عيني بعينه غمزني وأكمل ضحكه، سرنا قرابة السّاعتين أو أكثر قبل أن يقول إيثين :

-احملوا كشّافاتكم، الأرض هنا لا تخيف لكنّ الليل اقترب

حملنا كشّافاتنا دون أن نضيأهم قبل أن يتوقّف إيثين مشيرًا إلى البحر

-هناك دانييل، ادخل الماء وأضئ كشّافك

دخل دانييل الماء وبدأ بالتوغّل، وأضاء كشّافه، مرّت عدّة دقائق قبل أن يصرخ قائلًا:

-هناك هناك ..

ويهرب خارجًا من الماء، دخل إيثين الماء، لكنّ دانييل لم يتوقف عن الركض، ركضتُ وراءه محاولةً مجاراته قبل أن يصعد التلّة، ويختفي عن عيني، شعرت بالخوف فعدت أدراجي لإيثينالذي خرج وهو يصرخ، أمسك يدي قائلًا:

-جوزيف .. جوزيف ..

ثمّ دخل مرةً أخرى وسحب شيئًا، وعندما وصل الشاطئ رمى أمامي الجثّة !!

تجمّدت مكاني، أضاء كشافه، صرخ من قحف رأسه :

-جوزيف .. إنّه جوزيف ..

شعرت أنّ الزمن توقّف وأنا أشاهد إيثين وهو يذهب ويأتي، يضرب على فخذيه ويمسح وجهه "جوزييف" كان هذا كل ما سمعته قبل أن يضربني بيده على وجهي ويهزّني قائلًا:

-جوزيف .. هيّا يا فانتيلا لنهرب

أمسك بيدي وجرّني، كلّ ما كنت أفكّر به وقتها، دانييل وجوزيف، لم أدر ما يحدث غير أنّه صرخ قائلًا :

-الخيمة هيّا أسرعي

عدنا للخيمة لكنّها كانت مضاءة، توقّعت أنّ دانييل دخلها فركضت وأنا أصرخ دانييل، لكنّي فتحت عينيّ بذهولٍ عندما رأيت كساندرا ممدّدة في الداخل .. التفتُّ إلى الوراء، كان إيثين واقفًا خلفي، تجمّدت في مكاني ..

دخل بسرعةٍ إلى الخيمة، أمسك كساندرا بكلتا يديه، كانت شبه غائبةٍ عن الوعي، صرخ فيّ قائلًا :

-ماء بسرعة

تداركت نفسي ودخلت مسرعةً، أخرجت زجاجة الماء من حقيبتي، سقاها إيثين ومسح وجهها، رفعت يدها، قرّب رأسه من أذنها ثم صرخ :

-ما لونها، شكلها أيّ شيء؟؟

قالت بصوت منخفض بالكاد يسمع :

-أحمر

قال :

-وجوزيف؟؟؟؟

قرّب أذنه مرّةً أخرى .

وضع رأسه على الوسادة وبدأ يبكي كطفلٍ صغير، تمدّد على بطنه منتصف الخيمة، ركضتُ عليه وسألته :

-ماذا هناك، ماذا سنفعل؟؟

مسح دموعه ثم عاد وجلس ونظر إليّ قائلًا :

-ليس ثمّة شيءٌ نفعله، إنّها أفعى الشيطان، ستموت لا محالة، لا شيء نستطيع فعله لها .

سألته :

-وجوزيف؟

نظر إليّ بعينيه الحمراوتين المتجمّرتين، ثم قال وكأنه ينشج كمن فقد كل أولاده:

-لقد انتحر

-ماذا؟؟؟؟؟؟ انتحر؟؟؟

-فانتيلا ابحثي عن حقيبته أرجوك

أسرعتُ إلى كساندرا التي غابت عن الوعي، قستُ نبضها، كان هادئًا لا شيء يتحرك، لا شيء يُصدر صوتًا، أغمضتُ عينيها وغطّيت وجهها .

جلست وقد شعرت بشرخٍ عظيمٍ في روحي، وفجأةً تذكّرت ..

***

-دانييل

مسح إيثين عينيه وصرخ قائلا :

-صحيح أين هو؟؟

-لا أدري لقد ركض باتّجاه الغابة.

-ماذا؟؟ ماذا تقولين

-لا أعلم .. هل سيموت؟؟

كانت فانتيلا خائفةً مهتزّة، تضع يديها في فمها وتقضم أظافرها بشراهة، تهزّ كلتا قدميها، تحتضن ركبتيها وتمدّهما، تقف وتجلس، لقد قال لها إيثين أنّ دانييل لن ينجو في هذا الظلام، لم تعلم بِمَ تشعر وما يتوجب عليها فعله، حياتها إن خرجت مهدّدةً وحياة دانييل إن

لم تخرج مهدّدة، نظر إيثين إليها قائلًا:

-ربّما ذهب إلى الكوخ .. إنّها ليست مسافةً بعيدةً من هنا، لكنّ حيوانات الأيل المفترسة تستيقظ في اللّيل، ناهيك عن الطّيور الجارحة والعملاقة، وعن أفعى الشيطان التي لدغت كساندرا، الله وحده يعلم ما تحمله هذه الأرض من مفاجآت..

خبّأت فانتيلا رأسها بين يديها، كانت تحاول ان تُسكت الصوت داخل رأسها ."الأنا".. هذه اللعينة التي طالما أرّقتها وألقتها في غياهب النسيان والخذلان، مدّت جسدها وراحت تبكي، لم تكن تدري أتبكي على دانييل أم على نفسها التي لم تؤثر أحدًا حتى أنطوانيت، كانت تكره نفسها ونشبت الحرب في زوايا جسدها المتقرح، لم يكن هناك بدّ لقتلها "الأنا" ستقتلها من الداخل قبل أن تجهز عليها من الخارج.

تساءلت فانتيلا عن السرّ الذي يجعل الموت يأتي مرةً واحدة، أعني.. لماذا لا تقام الجنازات للأحياء كذلك! في كلّ حرب يفقد الإنسان جزءًا غير يسير من نفسه ويموت فيه جزءٌ لم يتوقّعه قبل أن يأتي هذا العظيم ويأخذه للأبد .. لماذا لا يعلن أن راعيًافقد حبيبته فشعر بموت كبده، فتقام الجنازة وتتباكى عليه النساء والعجائز، لماذا على الإنسان أن يصبح جثّةً هامدة حتى يأتي أحدهم ويبكي

عليه ..!

لم تعلم كم طال تفكيرها غير أنها أغمضت عينيها المنتفخة ولم تشعر إلّا بعصفور دخل الخيمة عنوة وأفزعها ..

قامت بسرعةٍ ونظرت بجانبها، لم تجد إيثين، غير أنّها وجدت كساندرا بجسدها الأبيض الممدّد، ازدردت ريقها وأدركت لتوّها أنها كانت تغفو بجانب جثّةٍ هامدة ..

خرجت من الخيمة، كان الوقت لا زال فجرًا، صرخت مناديةً على إيثين الذي لم يستجب لها ولم يبن له أيّ أثر، غير أنّها حملت حقيبتها وقرّرت أن تعزّي نفسها وتبحث عن دانييل، فأسرعت للخارج، تنبّهت إلى أنها من الممكن أن تضلّ الطريق فعادت وقد سرقت بوصلة إيثين، صعدت التلّة وراحت تنظر، لم يكن هناك أثر لإيثين، سارت للأمام عائدة أدراجها بحذر، كانت تنوي الوصول للكوخ، لكنّ الجزيرة بدت هادئة للغاية، واصلت مسيرها دون أن تدرك كم طال أو قصر، قبل أن تصل غابة الأشجار العملاقة التي دلّتها على الطريق بسهولة، ازدادت حرارة شمس الظهيرة فوق رأسها وشعرت أن أقدامها لا تقوى على حملها، فجلست وأسندت ظهرها لجذع الشجرة، وأشبعت ظمأها وجوعها بقربة المياه التي تحملها في حقيبتها، ولمّا التقطت أنفاسها أكملت مسيرها، وصلت

الكوخ لكنّها شعرت بحركةٍ غير طبيعيّةٍ فيه،كانت تبتعد عن الكوخ قرابة الخمسمئة متر،لكنّها أبطأت قدميها وجلست خلف شجرةٍ تراقب الباب الذي كان مفتوحًا على مصراعيه، خافت.. خافت أن تقترب أو تبتعد وظلّت تراقب بهدوء ومن بعيد قبل أن تشاهد كريستين تركض للخارج ودانييل يتبعها، وقفت وقد شعرت بالراحة الآن، كان يبدو أنهما يتشاجران لكنّها تجمّدت مكانها عندما رأت دانييل يضع النصل في أحشاء كريستين وهو يصرخ، ثم ينظر حوله ويرمي السكين ويهرب تاركا كل شيء.

لم تعلم أكان حقيقةً ما رأته أم خيال !! سقطت على ركبتيها وظلّت مشدوهة تراقب ما حدث بصمت مطبق، وهي تفتح كلتا عينيها ويدور في رأسها سؤال واحد "دانييل، هل دانييل هو القاتل..!!!"، لكنها استجمعت رباطة جأشها مرة أخرى لمّا رأت كريستين تنازع الروح محاولة الدخول للداخل، اقتربت منها وحملتها وهي تصرخ:

-دانييل اللعين القاتل ..

تهذي وتهلوس، تركض للمطبخ حاملة المياه وتعود أدراجها، نظرت إلى بطن كريستين المفتوحة، تنبّهت إلى ضرورة إيقاف النزيف، دخلت للغرفة لتحضر الملابس لتغطّي جرحها، لكنّ جثة

آدم الملقاة على الأرض أسفل قدميها، لعنت أم الدنيا في رأسها، نزلت إليه، حرّكته، لطمته، رفسته، صرخت فيه، كان ملقى على الأرض وبجانبه كوب أسود اللون مكسور، لم تدر ما تفعل ! خرجت من الغرفة، من الكوخ، من كل شيء، ظلّت تركض في الغابة لساعات، لم تعلم ما تفعل، كانت مشوّشة غاضبة خائفة لا تدرك ما الحل، ركضت مسرعة ومبطئة، أغشي عليها واستيقظت لوحدها، أكملت ركضها، لم تكن تعلم إلى أين تذهب، ظلّت تركض دون توقّف إلى أن وجدت نفسها أمام الخيمة، دخلت لداخلها، كانت خالية والظلام بدأ بالنزول، دفنت رأسها على وسادة كساندرا وغابت، لم تستطع النوم مطلقا، كانت ترتجف وكأنها رأت شبح الموت في جسد دانييل، هذا الطويل الحسّاس، كيف يتلوّن البشر بهذه الطريقة اللعينة !! لقد نامت عشر ليال على صدره، عشر ليال على صدر قاتل متلوّن، كان أرحم لو أنه بان من أول لحظة ..

وتساءلت عمّا يجعل دانييل يقتل كريستين أو آدم أو ريتا وديلونا أو سيمون حتى، ما الذي بينه وبينهم، ما السبب الأساسي للقتل؟! ما الذي يمنعه من قتلها إن كان قتل أخوه !، شعرت بالبرد يتخلّل أوصالها، ازدادت الحمّى عليها وراحت تهذي، نامت بعمق وقد

سلّمت كل مفاتيح القدر للقدر .

كانت الجزيرة الصغيرة تعتصرها، هذه المساحة الخضراء التي تنتصف المحيط شعرت أنها ستأكلها لا محالة، غير أنها نامت غير آبهة لما سيحدث، إن كان دانييل قاتلا إذا لابدّ من الموت على يديه..

استيقظت فانتيلا وهي تشعر بالغثيان، كانت الشمس حارّة وكأنها في منتصف أيلول، أدركت أن الظهيرة حلّت.. تذكّرت آدم غير أن أمعائها منعتها من إكمال التذكّر، فتحت حقيبتها وتناولت علبة تونا وبعد أن انتهت تمدّدت مرة أخرى.

إلى أين تذهب ومن أين تعود، لقد ماتت كل أجزائها وآمالها، دانييل كان يعني لها الجميع، وآدم طالما عنى لها، آدم لم يوجعها كدانييل، هذا المخادع اللعين، قامت وقد لمعت في رأسها فكرة واحدة فقط.. الانتقام.

"الانتقام" ..

لو علم المنتقم مآل الانتقام ما فكّر به لحظة،الانتقام، الثأر، السداد، هذه الأمراض التي تعشعش في الجسد الآدمي طالما عادت عليه بالأذى والخسارة، لم يفلح منتقم قط، لو أنّ فانتيلا فكّرت في قتل دانييل لتحمي الآخرين من شرّه لما سمّي انتقاما، لكنها شعرت بنصل الخديعة، شعرت بمرارة الخيانة في حلقها فأرادت أن تذيقه من نفس الكأس، هكذا وبكل بساطة تحولت جريمة العدالة إلى آفة خطيرة، النيّة، ما يحتويه الجسد البشري من أفكار ومخططات تكاد تلعب الدور الرئيسي في حياته جمعاء.

بحثت فانتيلا في الخيمة عمّا يساعدها، وجدت سلاح جوزيف وطعامه، وضعتهم في حقيبتها وخرجت من الخيمة، كان لابد من المحاولة، الآن وقد مات قلبها وماتت الحياة في عينها، فما الذي سيعنيه موت جسدها على أية حال ؤ تحولت الفتاة الثلاثينية المرحة إلى مقاتلة شرسة، جلّ ما يلعب في رأسها الانتقام، الانتقام ليس إلّا..

سارت وهي تفكر في مكان دانييل المحتمل لساعة كاملة قبل أن تتوقف وتلمع في رأسها فكرة "الجبل .. الكهف" إنها تعلم طريقة تفكير دانييل، هذا المتلوّن اللعين، سيكون مختبئاً في الكهف الذي تحدّث عنه كالفأر، ليس ثمة مكان آخر، لن يصل الجبال ولا بين إسحق ولا الكوخ ولا الخيمة .. عادت أدراجها وسارت مسرعة إلى الجبل، وعندما وصلته، تناولت سلاحها ووضعته على جنبها وبدأت التسلّق، تناست فوبيا الأماكن المرتفعة، تناست هذا الخوف اللعين الملاصق بها، أكملت تسلّقها إلى أن وصلت منتصف الجبل، التقطت أنفاسها، ومشت في الطريق الضيّق، وصلت مدخل الكهف .. ازدردت ريقها وصرخت بأعلى صوتها:

-دانيييييل أيها اللعين

تردّد من الداخل صوت دانييل المتشكّك

-فانتيلا .. هل هذه أنت؟

تشجّعت فانتيلا، أضاءت الكشّاف وسارت للداخل، تتبعت مصدر الضوء إلى أن وصلت غرفة مظلمة تتوسطها نار موقدة، ودانييل .. يجلس في الزاوية محتضنا ركبتيه، كانت النار تعكس على عينيه ووجهه لونها الأحمر، لكن احمرارها لم يضاهي شيئا أمام

احمرار عيني دانييل المنتفخة ..

قال بصوت منخفض:

-كنت أعلم أنك ستأتين لا محالة، انتظرتك كثيرا يا فانتيلا، اقتربي

-أيها القاتل اللعين

وصوبت سلاحها أمامه

وقف دانييل مذهولا، لم تحمله ركبتيه فخرّ أمامها

-كنتِ أملي الأخير .. ليتك لم تأت، ليتني لم أرك

زحف عائدا إلى مكانه، ارتجفت يدا فانتيلا وهي تحمل السلاح

-لا .. لا تتحرك

لكنّ دانييل لم يستمع لها، فتح حقيبته، سال العرق من جبهة فانتيلا، اضطربت سبّابتها على الزناد، أدركت انها غير قادرة على القتل، مسحت جبينها وصوّبت سلاحها مرة أخرى، كانت تبكي، تصرخ فيه، تهذي، ثم تواصل التصويب.

تناول دانييل زجاجة صغيرة سوداء اللون ثم قال:

-أتيت إلى هنا لغرض واحد، والآن سأنفذ هذا الغرض، ليتك

لم تأت، ليتني لم أرك..

ابتلع ما في الزجاجة وكسرها أمامه، رفع شعره عن عينيه المليئتين بالدموع، ثم قال وقد طبع ابتسامة ساخرة :

-حتى أنت يا بروتوس ! إذا فليمت قيصر..

ارتجفت ركبتي فانتيلا، أسقطت سلاحها وركضت على دانييل وهي تصرخ :

-ماذا فعلت، ماذا تقصد

أمسك يدها قائلا :

-إنه سم السيانيد، أتمنى أن أدخل الجنة الآن لألتقي بكاميليا، لكني حتما سأدخل الجحيم

صرخت فانتيلا :

-هل انتحرت ؟؟؟؟؟ دانييل أرجوك لا تفعل

احتضنت وجهه وراحت تنشج، قال بصوت منخفض:

-منذ لحظات وجهت لي سلاحا

تنبّهت فانتيلا للأمر، وكأن حامية صفعتها وأيقظتها من هذيانها، ابتعدت عنه، مسحت أنفها بيديها، مسحت دموعها، ثم

قالت بصوت متحشرج مكسور:

-لأنك قتلت كريستين..

فتح دانييل عينيه بذهول، وضع يده على بطنه صارخا من شدّة الألم، ركضت فانتيلا إليه وهي تهذي:

-لماذا قتلتها، لماذا يا دانييل!!

بدأ دانييل يرتعش،تفصّدت جبهته بالعرق، أغمض عينيه، وضع رأسه على الأرض، بدا متعبا، بدا محاربا فارسيا خارجا من لوحة زيتية، كان لعابه يسيل على الأرض، يتنفس بصعوبة وعيناه لا تزالان تذرفان، قال بصوت منخفض:

-لقد.. لقد.. سمّمَت آدم.. قتَلْتُها لأنها قَتَلَتْهُ، كريستين هي القاتلة لقد فقدت عقلها

فتحت فانتيلا عينيها، دارت الدنيا في رأسها، شردت وكأنها انفصلت عن العالم، ولم يوقظها من شرودها سوى صرخة دانييل الأخيرة:

-كاميليااااااا

نظرت إليه، فتح عينيه بذهول، ارتخى جسده، سقطت يداه على

الأرض، هزّته فانتيلا، صرخت فيه

-دانييل أرجوك استيقظ.. أرجوك دانييل ..لا تتركني وحدي أرجوك

احتضنت وجهه، صرخت من قحف رأسها، ضغطت على رأسه حتى لكأنه اخترق قفصها الصدري، ظلت تصرخ دون جدوى، مددته قائلة :

-لا تقلق يا حبيبي، الآن ننام ثم نستيقظ لنعود لبلاد الملح

وضعت رأسها على جسده، احتضنت ذراعه،أغمضت عينيها ولم تدر بنفسها إلا بعد مرور ساعات، رفعت رأسها عن صدره، نظرت إليه، لم تستطع أن تنظر أكثر، سالت عيناها، أطلقت الرصاص على الحائط بشكل جنوني، رمت المسدس، رمت حقيبتها، ضربت على الجدار بقوة، الآن ومصدر الأمان الوحيد قد رحل، ماذا ستفعل، حملت حقيبتها وحقيبة دانييل، رفعت المسدس عن الأرض، تفقدت الرصاص، كان يوجد رصاصة واحدة باقية، وضعت أمتعة دانييل في حقيبتها، وقفت أمام باب الكهف، كانت الشمس قد بدأت بالغروب، عادت مرة أخرى، جلست بجوار دانييل، علمت أن عليها أن تشارك الجثة الغرفة لأنه ليس ثمة بدّاً

لذلك.

جلست بجواره، فتحت الحقيبة، وتناولت دفتر مذكراته، أخذت تقلّب به، كان وجه كاميليا يملأ الصفحات، الخربشات ووجه كاميليا، لكنها وصلت لصفحة أصابتها بالصدمة والذهول لمّا رأت صورة وجهها مرسومة بملائكية وارتجاف، انفطرت عيناها وأخذت تقرأ ما كتب: "الأنانية صاحبة الملامح الهادئة، هي عزائي الوحيد على هذه الجزيرة، إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالاندماج بعدك يا كاميليا، لقد أمسكت زجاجة السم هذه الليلة ونظرت إليها، لا أعلم ما أصابني، ظل وجه فانتيلا يلاحقني، يبدو أني سأعدل عن فكرتي.."

لم تستطع إكمال القراءة، احتضنت الدفتر وسالت دموعها بغزارة، اقتربت من دانييل، احتضنت ذراعه ونامت على صدره.

استيقظت فانتيلا، رفعت رأسها عن صدر هذا الرجل الذي غادر العالم قبل ساعات، شعرت بصداع شديد، سالت عيناها مرة أخرى، لن ينفذ خزّان الملح من داخلها و راحت تفكر، ترى ما الذي يجعل الإنسان أكثر خوفا من الموت عند اقترابه، ما الذي يجعل الرجل يعدل عن فكرة الانتحار ! هي لم تقدم له أي شيء سوى الابتسامة، هل يمكن لهذه الصغيرة أن تمنع رجلا حساسا من صنع

الجنازة، شعرت أنها أنقذته وقتلته، شعرت انها انجبته وأجهضته في آن واحد، هل يمكن للإنسان أن يكون منقذا وقاتلا !!أمسكت الدفتر وبدأ بتقليب الصفحات وفتحت الصفحة الأخيرة مجحظة عينها بذهول.

" اليوم قتلت كريستين، آدم.. لقد وجدت جثة رجل في عرض البحر أعتقد أنها عائدة لجوزيف، لم أستطع تمالك نفسي فهربت، هربت من كل شيء، ولم أجد نفسي إلّا أمام الكوخ، كان الفجر قد بدأ بالبزوغ، دخلت الكهف، لم يكن ثمة ما يريب، كان آدم نائما، لكن دون شخير، وكريستين جالسة أمام النافذة، دفنت نفسي في السرير، لكني عجزت عن الموم، ظللت أتقلب ولّما يئست، ذهبت إلى سرير آدم، كنت أريد التحدث إليه، لكنه لم يستجب لي، ظللت أضربه على وجهه، أوقفته لأغسل له وجهه، لكن كريستين وقفت أمام الباب بكل برود قائلة : لن يستيقظ لا تحاول معه لقد مات،.. أسقطت آدم من يدي، أمسكتها من ذراعها وهززتها، قالت في البداية أنه انتحر، لكنني أخوه.. أنا أعرف الخلق به، آدم عزيزي، حاولت إيقاظه ولم يستجب، قلت لكريستين سأحضر إيثين وهو سيعرف ما سمم آدم، أصبحت تهذي وتبكي، كانت ليس ثمة أحد في الجزيرة له ثأر مع سيمون، لقد قتله آدم، ظللت أستجوبه طيلة

الأيام تلك، كان يقول لي أنه لم يقتله، لا أدري ربما لم يقتله حقا، لكن على أحد أن يموت عوضا عن سيمون، كانت تهذي،دخلت وأحضرت كوبا من جانب السرير وكسرته، شعرتُ أنها فقدت عقلها، لا يمكن لآدم أن يكون له علاقة بموت سيمون، المجنون وحده من يظن ذلك، إن آدم ليس من هذا النوع من البشر، إن كريستين تعرف ذلك جيدا، وإلّا ما كان هذا أخي،لقد جُنّت حقا، سمّمته، سممته بالقهوة، إني الآن غير واثق من أي شيء سوى من فانتيلا ".. لم تستطع فانتيلا إكمال القراءة، تنهّدت وأغلقت الدفتر، خبأته.. مسحت دموعها، وأكملت مسيرها إلى الخارج، نزلت من الجبل، لم تكن تدري إلى أين ستذهب، شعرت أن الجزيرة تطبق على صدرها، كانت تتمنى لو أن دانييل لم يمت، دانييل كان عزاؤها الوحيد، سارت باتجاه الخيمة، دخلت وبدأت تفكر في مكان إيثين، ثم إن كانت كريستين هي القاتلة فمن قتل سيمون إذا!..

لم تعد تدري ما تصدق وبماذا تفكر غير أنها شعرت بصداع عظيم فمدّدت جسدها لكي تتمكن من النوم، كانت تشعر أن إعصارا عظيما يدور في رأسها، ظلّت تفكر لساعات قبل أن تسمع صوت إيثين من الخارج يصرخ :

-فانتيلا أنا أعلم أنك بالداخل .

حملت حقيبتها وقد شعرت لأول مرة بهذا الحمل يزاح شيئا فشيئا، وخرجت وبدأت تبحث عنه إلى أن وجدته ينزل من التلّة .

نزل من التلّة، سارت فانتيلا ببطئ، لم يكن في جسدها قوة بعدما فقدت دانييل، خلع حقيبته، بدا كأنه يحاول التقاط شيء ما، قبل أن تتنبّه إلى أنه يسحب سلاحه، التقطت سلاحها من جانبها، قال بصوت عالٍ وغاضب :

-أيتها اللعينة، هل قتلت أصدقائك !!!

-كلا إسمعني

-لقد رأيتك

سحب الزناد، ركضت فانتيلا وهي تصرخ

-أرجوك اسمعني

غير أنه أطلق رصاصة على قدمها، سقطت على الأرض، ركض إليها، رفع مسدّسه في وجهها، رفعت مسدسها بسرعة وأطلقت رصاصة أصابت كتفه.. ترتجع للوراء، تمالكت نفسها وقامت تجر نفسها وتزحف، قبل أن يجهز عليها برصاصة استقرت في رأسها، ويسقط مغشيا عليه .

الجزء الأخير
الجثة التي لا تموت..

ماذا بعد الموت ؟! .. السر العظيم الذي يتلقف الأشياء ويبتلعها دون أن يشبع، طالما كان السدّ العظيم الذي لا يمكن اختراقه، لكن إن كانت كل الحواجز تخترق .. فهل يعقل أن الجبال اخترقت ..!

ما وراء الجبال ..

ارتدى نظارته الدائرية، دخل إلى البيت المحروق، أخذ يبحث بين الأشياء إلى أن سحب ست زجاجات تحتوي على سائلٍ أصفر، عاد أدراجه خارجا من كومة السواد المحترقة، سار باتجاهً الشمال، وصل الجبال، نظر إلى هذه السلاسل العملاقة التي تغطي وجه الشمس وكل أوجه السماء، ابتسم بخباثة، عدّ خطواته وهو يسير محاذاتها لليسار، واحد .. إثنان ثلاثة .. إلى أن وصل مئة .. ضحك أمام الجبل، كان ثمة أعشاب مهيبة متدلّية من أعلى الجبل، أزاحها ودخل للداخل، كان الظلام دامسا غير أن فانوسا من النور الأحمر يحمله بين يديه أضاء له جدران الجبل الصلبة من الداخل، كلن أمامه درج مظلم، نزل الدرج، وكأنه يحفظ المكان عن ظهر قلب كمن ولد وترعرع فيه، دخل الباب قائلا :

-أحضرت ما سيجعلك تتكلم يا حبيبي.

رفع المصباح قليلا، بدا وجه إسحق المربوط بحبل ثقيل، والمغلق فمه بلاصق رماديّ ثقيل، رفع الفانوس على مكتب خشبي

محاذ لظهر إسحق، فتح الحقيبة السوداء، تناول الزجاجات الست، ووضعهم على الطاولة أمام إسحق، حملق إسحق فيهم بذهول تحرك بعنفوان وكأنه يريد قول شيء ما، اقترب منه، أزال الشريط اللاصق وهو يقول :

-إن لم تجب على ما سألتك ستخترق هذه الصفراوات عروقك وتجعلك مرغما على التكلم ثم تموت، انت تعي ما أقوله جيدا .. لكن إن أعطيتني ما أريد سأفرج عنك بكفالة ..

ابتسم بينما ظلّ إسحق صامتا للحظات وكأنه يعي أن نهايته أصبحت حتمية، ازدرد ريقه ثم قال:

-وشمتهم على جسدي لكن أرجوك لا تقتلني

-أيها اللعين لهذا لم أحرقك مع البيت، إنه المكان الوحيد الذي لن أبحث فيه

اقترب منه، مزّق قميصه، اقترب من صدره وبدأ القراءة:

"السرّ في الأصفر، إنهم يخافونه، حتى الجبل يخشاه"

لمع سنه، عاد إلى كرسيه، نظر إسحق إليه وقد تفصد جبينه بالعرق، ازدرد ريقه ..

تناول مسدسه وصوّب ناحية رأس إسحق قائلا :

-هل تريد أي شيء قبل أن ترحل؟

صرخ إسحق قبل أن تستقر الرصاصة في رأسه :

-إيثين أيها اللعين ..

النهاية..

الآن وقد أنهيت المجزرة لم يعد ثمة ما سيثنيني عن الوصول للعالمية ويخلّد اسمي في التاريخ، الحمقى ظنّوا أني ذاهب للأنتيل حقا، ليس ثمة ما أرّقني طوال السنين الماضية كهذا الحلم اللعين، لكني حزين على جوزيف، لم أكن أنوي قتله، كنت أريد أن يظل ليشهد مجدي، لكنه آثر نفسه على كساندرا وتناول السمكة المسمومة التي تركتها على فرشة كساندرا، رميته في البحر لأتّقي الفضيحة، وأفعى الشيطان الحمراء التي وجدتها بجانب البحر تكفلت بموت كساندرا وتكفلت بإغلاق فمها كذلك إثر الشلل الذي يرافق أعراضها، النفس البشرية كم هي أنانية ووضيعة، كان بإمكاني قتلهم في ليلة واحدة لكن اللعبة أغرتني، في البداية هناك جايكوب الذي أقنعته بالتخلص من سيمون عن طريق حقنه بالدم الأصفر الذي يسبب الهلوسات وكان صوتي الخفيف قبيل نومه كفيلا بوضع فكرة سرقة أعضاء سيمون في منتصف عينيه، وكريستين الغبية ساعدتني كثيرا بغبائها وهلوساتها، لقد أفقدتها عقلها بعدما رأت جثة سيمون وأقنعتها بعد أن ازدادت هلوساتها أن الدم الأصفر الذي وضعه آدم لها ليقنع الجميع بأنها مجنونة كان كفيلا بإثبات ذلك، تذرعت بالعادة وتركتها مع آدم، لم أكن أخطط

لذلك كنت قد همست في أذنها مساء بعد أن حقنتها بالدم الأصفر بأن تضع لآدم السم في فراشه، لكن تطوّع آدم ساعدني حقا، كما ساعدني جوزيف في مهمة قتل ريتا وديلونا بعد أن اقنعته أن علينا أن نغير أقوال كساندرا لنوجه أصابع الاتهام كلها نحو إسحق، لقد اقتنع جوزيف برأيي ووثق بي، لكن كساندرا أو أحدا منهم لم يتوقع أني أنا من كتب الملاحظة الأخيرة ووجهت التهم نحو كساندرا في البداية لأتذرع بأن أحدا ما يحاول تضليل التحقيق، في الحقيقة لم يقتل إسحق الفتاتين، لقد كانت كساندرا تتشاجر معهما على الشاطئ بعد أن رأتهما يسهران دونها، وقد دفعتها للماء وأمسكت كساندرا وربطتها في الشجرة وأنا أرتدي قناعا كاملا أسود اللون، أقنعتها أن تكتب لهما رسالة انتحار وأن تلتزم الصمت في التحقيقات وإلا فلن أفك وثاقها وسأشهد أمام الجميع أنها قتلتهما، خافت كساندرا، ثم وبعد حين وعندما كنا في الغرفة انا وهي وجوزيف نحقق معها اعترفت لنا بقصة المقنع الأسود، وهذا ما دعّم رأيي لدى جوزيف بأن إسحق هو القاتل، أما جايكوب فكان من السهل تسميمه وإلقاء التهمة على إسحق الذي جن جنونه ولم يجد بدا من طردنا، وهذا كذلك دعم رأيي لدى الجميع بأن إسحق قتله ليبعد الشبهة عن نفسه، أنا لم أقتل أحدا، جعلهم

الشك يصارعون نفسهم الداخلية، إن الحرب النفسية أشرس من النووية على ما أظن، وأنا قائد عسكري في هذا النوع من الحروب، ظنت فانتيلا المسكينة أني صادق، وأنها قتلتني، لكن السترة الواقية من الرصاص ساعدتني، كنت أشعر بجوع داخلي لإخبارها عن الحقيقة قبل قتلها لكن آثرت أن أبقى في اللعبة لآخر لحظة، الآن وقد أصبحت وحيدا على هذه الأرض بإمكاني أن أباشر العمل بما حلمت به، وأرقني ليال طوال .. ما وراء الجبال، الدم الأصفر، حمامة نيكوبار، بالتأكيد هذا الأبله ليس إسحق الحقيقي لقد جاء إلى هذه الأرض بمساعدة جايكوب قبل عشر سنوات، إنه زعيم لدى القراصنة وكيميائي عبقري، قتل إسحق وانتحل شخصيته، لم يكن هناك من يعرف إسحق الحقيقي وجها لوجه، لقد جنى ثروة هائلة من الجزيرة لكني وعندما سرقت مخططاته أدركت أننا تشاركنا نفس الحلم، لقد ساعدتني أبحاثه كثيرا واختصرت عليّ أعواما من التعب، إذا هذا الدم الذي يعتبر كنزا للعالم أجمع هو وحده القادر على خرق الجبل، كل يوم عشر قطرات كفيلة لجعل الجبل لا يهدم نفسه في الصباح.

شعر إيثين بتدفق الأدرينالين وهو يحفر الجبل للوصول لحلمه الأول، ظلّ يحفر دون كلل أو ملل لمدة تجاوزت الستة شهور، كانت

الفتحة التي حفرها إسحق طوال سنوات عميقة للغاية، وإلا كان سيقضي عشر سنوات في الحفر أو يزيد، وإن لم يكن إسحق قد اكتشف حمامة نيكوبار صدفة لظل يحفر عشرين سنة دون جدوى .

طالت لحيته وخشنت يداه كثيرا حتى بدت أخشن من جدران الجبل العظيم هذا، بانت التجاعيد بجانب عينيه أسفل النظارة الدائرية، كان يتصبب عرقا، أزاح شعره عن عينيه وراح يلهث وكأنه توقف عن سباق طال أعواما، وضع عشر قطرات على الفأس، ضرب الفأس بالجبل، بانت فتحة من النور و شعر أنه ملك الدنيا، نفض الغبار عن ملابسه حمل حقيبته وأمتعته، امتلأت عيناه بالدموع، عاد للنفق، وضع عينيه على الفتحة و لم يكن يرى شيئا سوى الغيوم، ابتعد للوراء، ضرب ضربة ثانية قبل أن تتوسع الحفرة أمامه ويرى ما لم تصدقه عيناه!!

نظر أمامه، شعر أنه في السماء الأولى، كانت الغيوم قريبة منه إلى حد يمكن لمسها، نظر للأسفل، كان ثمة رؤوس أشجار بعيدة، أدرك أن الأرض بعيدة جدا عنه، ازدرد ريقه، اختال بهذا الإنجاز .. إذا عليه أن ينزل للأسفل الآن، ربط حبلا حول خاصرته وخرج خارج النفق، وثبته بجذع شجرة عملاقة داخل الجزيرة، نظر للسماء وابتسم ثم قال قبل أن يدخل الجبل مرة أخرى :

وداعا أيها الحمقى..

نظر للأسفل، كانت هاوية مخيفة ومخفية أسفل كل هذه الغيوم، لكنه أمسك بالحبل جيدا، كان الجبل صلبا مليئا بالحجارة، بدأ يهبط للأسفل، تخللت البرودة ساقيه النحيلتين، وتحسس لسعات الهواء الباردة والندى، لكن لم يمض وقت طويل قبل أن يشده الحبل للأعلى، أدرك أن أطول حبل لديه لم يفي بالغرض، فتناول سكينا وقطعه، ثم أكمل نزوله للأسفل، قضى وقتا طويلا قبل أن يتحسس رائحة الأشجار أسفله، بانت له رؤوس أشجار الصنوبر العملاقة، قبل أن يمر طير أسود عظيم بجناحين عملاقين ويصطدم به ويسقطه ..

طار إيثين في الهواء، تلقفته أغصان الأشجار الشائكة قبل أن يسقط على الأرض، تحسس جسده بيديه، أغمض عينيه متعبا ثم التفت وحاول النهوض، شعر بألم عظيم في عظامه لكن كان عليه مواصلة المسير، نظر إلى هذا المدى المفتوح أمامه، شعر بالخوف والتعرق، طالما أثار المجهول فزع الإنسان لكن حب إيثين لحلمه القديم كان أكبر من هذا الفزع لهذا تقلّد حقيبته وسار مجددا للأمام، للمجهول تماما، وقف دقائق ينظر إلى هذا العالم الساحر، هذه الأشجار البنفسجية والرمادية، وهذه الطبيعة الخلّابة لا تشبه

بلاد الملح في شيء، كل شيء مرتب وكأنها الجنة بل .. لعلها الجحيم متخفية ..أصيب بالذهول وتجمّدت خطواته لما رأى ما أفزعه وجعله يتراجع بخطواته بهدوء، اختبأ خلف جذع شجرة وجلس على ركبتيه، فتح عيونه جيدا وأخذ يسترق النظر، كان أمامه نهر جار وبجواره كائنات لكن .. ليس حيوانات ولا بشر، كانت أقزاما بشرية، يصل طول الواحد منهم ذراعا واحدا لا أكثر، سريعون وكأنهم من فصيلة الفهود، ويتحدثون لغة غريبة، أدرك إيثين أنه أمام خيارين ..

إمّا أن يتسلق الجبل مرة أخرى عائدا للجزيرة التي قد ترفضه أرضها، أو.. يحاول كشف خبايا هذه الأرض وفك رموزها والتأقلم مع هذه المخلوقات .

لكن أحدهم انتبه له قبل أن يتخذ قراره، وركض وراءه صارخا فيه، أحسّ إيثين بدنو الأجل، ارتفع الأدرينالين في عروقه، وراح يجري بسرعة لم يعتد أن يجري بها قبل أن ينقضّ على عنقه ويستقرّ جالسا على صدره .

كان إيثين في هذه اللحظات مدركا تماما أن مثل هذا الأمر لا يمكن أن ينجو منه، نظر إلى وجه هذا القزم، كانت عيونه كبيرة جاحظة، وله لحية طويلة، ووجهه مليء بالندوب والعلامات،

صرخ صرخة وهو ينظر في عينيه إيثين زلزلت الأرض أسفل قدميه، اقترب من وجهه وهو يبتسم وقد بانت أنيابه الصفراء الطويلة، كان على وشك أن يغرسها في عنق إيثين لكنه اشتم حقيبته وابتعد عنه رويدا رويدا، وقف إيثين بحذر فرأى ما لم يتمكن من تصديقه ..

كان أمامه مئات الآلاف منهم يقفون وراء بعضهم مغطين مساحة الأرض التي أمامه جمعاء، أحس بالرعب يتملكه، امتلأ جبينه بالعرق، ارتجفت ركبتاه، لكنه لم يصدق ما رآه عندما التفت القزم القريب منه للوراء ونظر إلى الجنود وصرخ بكلمات لم يفهم منها أي شيء غير أنه غطى أذنيه من شدة الصوت شاعرا أن طبلة أذنيه ستنفجر، فتح عينيه بذهول لمّا رأى الجموع تركع أمامه .

يتبع..